الآثار الاقتصادية والاجتماعية للكوارث الطبيعية في مصر عصر دولة المماليك الجراكسة

[٧٨٤-٩٢٣هـ / ١٣٨٢-١٥١٧م]

دكتــورة

زينب أحمد علي أبوعلي

مدرس التاريخ الإسلامي – كلية الدراسات الإنسانية

جامعة الأزهر– القاهرة

الآثار الاقتصادية والاجتماعية للكوارث الطبيعية في مصر

عصر دولة المماليك الجراكسة

(٧٨٤ - ٩٢٣هـ/ ١٣٨٢ - ١٥١٧م)

د. زينـــب أحمد على أبو علي
قسم التاريخ – كلية الدراسات الإنسانية
جامعة الأزهر– فرع القاهرة

ملخـص البحث:

يهدف البحث إلى التعرف على أثر الكوارث الطبيعيـــة فـــي الحيـــاة الاقتصادية بمصر عصر المماليك الجراكسة ســـواء فـــي قلـــة الإنتـــاج الزراعي وهلاك أكثر الثروة الحيوانيـــة، أو فـــي تقلـــص الكثيـــر مـــن الصناعات، وركود التجارة وارتفاع أسعار جميع السلع.

كما كان للكوارث الطبيعية أيضًا آثار بعيدة علـــى الحيـــاة الاجتماعيـــة بمصر عصر المماليك الجراكسة حيث أحدثت تغير في الكثافة السكانية بـــين القرى والمدن، كما غيرت في سلوكيات بعض الناس.

وقد كان لدولة المماليك الجراكسة دورًا إيجابيًا فـــي مواجهـــة أثـــر الكوارث الطبيعية مما خفف بعض الشيء من تأثيرهـــا الســـلبي علـــى الرعية.

Humanity Studies Sector Magazine - Al Azhar University
Number 22 December 2018 Gregorian

The Economic and Social Effects of Disasters The age of Circassian Mamluke State (784-923 AH / 1382-1517 AD)

Dr. Zeinab Ahmed Ali Abu Ali
History department Faculty of Humanity Studies
Al Azhar University- Cairo Branch

Research summary

The research aims at knowing the effects of natural disasters on the economic life in Egypt at the age of Circassian Mamluke either the less of agricultural production and the damage of most animalism wealth or the less of most industries, recession of trade and high prices of all items.

The natural disaster also had far effects on the social life in Egypt at the age of Circassian Mamluke that made change in the population between villages and cities and change manners of some people.

The Circassian Mamluke state had positive role in facing effect of natural disasters who decrease their negative effect on people.

شهدت مصر في عصر المماليك الجراكسة (٧٨٤-٩٢٣هـ/ ١٣٨٢ - ١٥١٧م) سلسلة من الأزمات والمحن، يرجع بعضها إلى عوامل طبيعية ليس للإنسان دخل فيها، والبعض الآخر إلى عوامل بشرية، وتمثلت الأولى في عدد من الكوارث[١]، الطبيعية كان لها آثار سلبية في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وهذه الآثار هي موضوع دراستنا.

أولاً: الآثار الاقتصادية للكوارث الطبيعية:

كانت الكوارث والنوازل الطبيعية من العوامل المؤثرة في اقتصاد مصر عصر المماليك الجراكسة، فتضررت منها الزراعة والثروة الحيوانية، وتأثرت الصناعة والحرف، كما أصاب التجارة الركود، وارتفعت أسعار جميع السلع.

أثر الكوارث في الزراعة والثروة الحيوانية:

من المعلوم أن الماء العذب لا غنى عنه لحياة الإنسان والحيوان والنبات، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[٢]، وقد ارتبطت الزراعة في مصر ارتباطًا وثيقًا بنهر النيل[٣] – فهو المصدر الرئيس لمياه

---

(١) الكوارث مفردها كارثة، و(كرث) كرثه الأمر يكرثه، وأكرثه ساءه واشتد عليه وبلغ منه المشقة، قال الأصمعي: "ولا يقال كرثه وإنما يقال: أكرثه ويقال كرثني الأمر وقرثني إذا غمه وأثقله" انظر ابن منظور: لسان العرب، ط دار صادر بيروت د.ت، مجلد٢/ ص ١٨٠.

(٢) سورة الأنبياء آية (٣٠).

(٣) هو أطول الأنهار وأفضلها، وأكثرها عذوبة، ولا يعرف نهر يزرع عليه من أنواع المحاصيل ما يُزرع على النيل، ولا يوجد في الأرض نهر يسمى بحرًا سوى النيل. انظر ابن بطوطة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" المعروف برحلة =

الري بها – لذلك كان لتذبذب فيضانه بين الانخفاض عن حد الوفاء أو الزيادة المفرطة أثره الخطير على مناحي الحياة بها[١]، حيث إن فيضان النيل يؤثر في معيشة المصريين، فإذا جاء الفيضان منخفضًا تعذرت الزراعة، وعم الجدب والقحط، وانتشرت المجاعات، وترتب عليه أضرار اقتصادية كثيرة تصيب البلاد[٢]. أما إذا جاء الفيضان عاليًا فيُغرق الأراضي، ويُحطم الجُسور ويضُر بالممتلكات، ويتسبب في هلاك الثروة الحيوانية خاصةً الماشية اللازمة لأعمال الحقل[٣].

ففي سنة ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م، عندما انخفض فيضان النيل تأثرت الزراعة، وزادت أسعار الغلال[٤]، كما أدى تراجع الفيضان سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م، إلى شرق أغلب الأراضي[٥]، وارتفاع أسعار

=

ابن بطوطة، تحقيق محمد عبدالمنعم العريان، ط أولى دار إحياء العلوم بيروت ١٩٨٧م، ص٥٨، ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس، ط القاهرة ١٩٦٩م، ص١٥٩.

(١) قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ط أولى القاهرة ١٩٧٨م، ص٥٣.

(٢) أحمد السيد دراج: الحسبة وأثرها على الحياة الاقتصادية في مصر المملوكية، المجلة المصرية التاريخية ١٩٦٨م، العدد ١٤، ص١١٤.

(٣) الأمين محمد عوض الله: أسواق القاهرة منذ العصر الفاطمي حتى نهاية عصر المماليك، ط القاهرة ٢٠١٤م، ص١٢١.

(٤) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، ط أولى بيروت ١٩٩٧، جـ٥، ص١٧٩، سعيد عبدالفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ط القاهرة ١٩٩٢م، ص١٠٠.

(٥) شرقت الأراضي: أي ظمئت ولم يصل إليها الماء فاشتدت حاجتها إليه فلما رويت حصل لها من الري نفس مقدار ما حصل لها من الظمأ. انظر ابن مماتي: كتاب

=

الحبوب[١]، وجاء عام ٨٩٧هـ/ ١٣٩٤م، والناس تعاني من المجاعة والقحط لعدم وجود محاصيل جديدة، كما أنهم استهلكوا معظم المخزون من الغلال القديمة[٢].

ونتيجة لانخفاض فيضان النيل في شهر المحرم سنة ٨٠٦هـ/ يوليه ١٤٠٣م إلى أقل من ست عشرة ذراعًا[٣]، شهدت مصر جفافًا لم يسبق له مثيل[٤]، وأعقب ذلك مجاعة أصابت الناس بالمحن، وكثرت الوفيات، "واختلت الأمور خللاً آذن بدمار إقليم مصر"[٥].

واستمرت المجاعة إلى سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م، على الرغم من وفاء النيل؛ لأن إهمال الجسور أدى إلى غرق كثير من القرى[٦]، "وعجز الفلاحين عن البذر"[٧]، حيث إن إهمال صيانة الجسور والعناية بها يحول

=

قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، ط أولى القاهرة ١٩٩١، ص٢٠١، القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ط القاهرة ١٩٦٣، جـ٣، ص٤٤٦.

(١) المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق كرم حلمي فرحات، ط أولى ٢٠٠٧م، ص١١٥، الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، ط دار الكتب القاهرة ١٩٧٠م، جـ١، ص٣٩١.

(٢) قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع، ص٥٧.

(٣) الصيرفي: نزهة النفوس، ط دار الكتب ١٩٧١م، جـ٢ ص١٨٠.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط القاهرة د.ت، مجلد ٦، جـ١٢، ص٣٠١.

(٥) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص١٠٧.

(٦) عيسى محمود العزام: أسعار الحبوب والمواد الغذائية في مصر خلال عصر المماليك البرجية، مجلة دراسات تاريخية، العدد ١٧، العراق ٢٠١٤م، ص١١.

(٧) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص١١٣،

دون الاستفادة من مياه الفيضان الفائدة المرجوة.

وعاني أهل مصر من هذه المجاعة لقلة الأقوات، وتعذر وجودها، حتى اضطرهم الجوع إلى أكل الحيوانات النافقة(١)، ومات منهم ما يزيد عن نصف السكان(٢)، كما "تفقت الدواب في سنة ست وسنة سبع، وعز وجودها. وبلغت أثمانها إلى حد نستحي من ذكره"(٣)، وذلك راجع إلى انعدام المرعى، وقلة المحاصيل الزراعية الخاصة بغذاء الماشية والطيور مثل الشعير والفول والبرسيم والدريس(٤)، والتبن(٥)، مما كان يؤدي إلى قلة الماشية والطيور أو فنائها(٦)، ولا يخفى أهمية الثروة الحيوانية للفلاح للفلاح ؛ حيث يعتمد عليها في الزراعة، والغذاء فهي تمثل مصدرًا أساسيًا لدخله.

وفي سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م بلغ النيل حد الوفاء، ثم بدأ يهبط بشكل سريع، مما دفع أغلب الفلاحين إلى تعجيل عملية البذر قبل الوقت

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، ط القاهرة ١٩٦٣ جـ١ ق٣، ص٦٩٧.

(٢) المقريزي: إغاثة الأمة، ص١١٦.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) هو يابس البرسيم والحشائش يستخدم لإطعام الحيوانات.انظر أحمد مختار عمر: عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ط أولى عالم الكتب ٢٠٠٨م، مجلد ١، ص٧٣٨.

(٥) هو ما تهشم من سيقان القمح والشعير بعد درسه، ويقدم علفًا للماشية. انظر مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط٤، القاهرة ٢٠٠٤م، ص٨٢.

(٦) محمد عبدالنعيم محمد عبده: أزمة اللحوم وأثرها على المجتمع المصري في عصر دولة المماليك الجراكسة، حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب جامعة القاهرة، أكتوبر ٢٠١١م، ص١٩.

المخصص له، ففسدت البذور[١].

وقد ترتب على هبوط النيل عام ٨٢٧هـ/ ١٤٢٤م شرق معظم الأراضي بالصعيد والوجه البحري[٢]، فقلت مساحة الأراضي المزروعة وتراجعت المحاصيل، وظهر الغلاء واضحًا في العام التالي[٣]، كما امتدت الأزمة إلى عام ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م، وساءت أحوال الفلاحين، وقلت المراعي، وعز وجود العلف، فهزلت الماشية[٤].

وعلى الرغم من وفاء النيل سنة ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م فإن هبوطه بسرعة تسبب في شرق غالب الصعيد وبعض بلاد الجيزة[٥]، و"أتلف الأمقتة[٦]، والبطيخ والخيار"[٧].

وقد عانت مصر من القحط والجفاف عندما توقف النيل عن الزيادة سنة ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م فأشرفت البلاد على الخراب[٨]، "واستمر

(١) ابن حجر: إنباء الغُمر بأنباء العمر، تحقيق حسن حبشي، ط القاهرة ١٩٩٤م، جـ٣، ص١٧٣-١٧٤، الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٢، ص٤٢٠.

(٢) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص١٠٣.

(٣) رأفت محمد النبراوي: أسعار السلع الغذائية والجوامك في مصر عصر دولة المماليك الجراكسة، ط أولى الرياض ١٩٩٠م ص ١٨٨.

(٤) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص١٣٠.

(٥) ابن حجر: إنباء الغُمر بأنباء العمر، جـ٣، ص٥١٢.

(٦) يقال المقاثي والقثاء، وهي نوع من البطيخ قريب إلى الخيار لكنه أطول، ويسمى ويسمى في مصر بالعجور والفقوس، والمقثأة موضع القثاء يزرع فيه وينبت. انظر المعجم الوسيط، ص٧١٥.

(٧) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص١٦٣.

(٨) مجدي عبدالرشيد بحر: القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك، ط القاهرة القاهرة ١٩٩٩م، ص٢٠١.

الحال على ذلك نحوًا من سنتين وشيء"[١]، وتزايدت الأسعار و"مات فيها من ذوات الأربع، مثل الأغنام والأبقار وغيرها شيء كثير من عدم العلوفة"[٢]، ونتيجة لموت الماشية تعطَّلت أعمال الري وصيانة الجسور، بجانب الأعمال الزراعية التي يعتمد فيها على الحيوان، مما ترتب عليه توقف سائر أمور البلاد[٣].

وفي سنة ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م لم يبلغ النيل حد الوفاء، حتى بدأ ينقص[٤]، فشرقت أكثر الأراضي بالوجهين القبلي والبحري[٥]، وذبلت الأشجار، وخربت البساتين[٦]، وعاش الناس في فاقة وبلاء[٧]، كما استمرت شدة المجاعة حتى عام ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م- جراء توقف النيل – فزاد القحط حتى تجاوز الحد[٨]، وعز وجود العلف والبرسيم[٩] ،

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص٢٨٤.
(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، تحقيق إبراهيم على طرخان، ط الهيئة المصرية المصرية للكتاب ١٩٧٢م، جـ١٥، ص٤٠٣.
(٣) قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع، ص٦٠.
(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص٢٨١.
(٥) السخاوي: وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق بشار عواد معروف وعصام فارس، وأحمد الخطيمي، ط مؤسسة الرسالة، مجلد٢، ٦٤٧.
(٦) ابن تغري بردي:حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق محمد كمال الدين/ عز الدين ط أولى عالم الكتب ١٩٩٠م، جـ٢، ٣١٧.
(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص٤٢٣.
(٨) ابن تغري بردي: النجوم، تحقيق جمال الدين الشيال وفهيم محمد شلتوت، ط دار دار الكتب ١٩٧٢م، جـ١٦، ص١، البقاعي: إظهار العصر لأسرار أهل العصر (حوادث من سنة ٨٥٥ – ٨٦٥هـ) تحقيق محمد سالم بن شديد العوفي، ط أولى القاهرة ١٩٩٣م، ق ١، ص١١٩، ١٢٠.
(٩) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، جـ٢، ص٣١٧، ٣١٨.

ونظرًا لتعذر إطعام الماشية ترك الناس دوابهم تسعى في الأرض بحثًا عن طعامها، وهذا ما عبَّر عنه ابن إياس(١). فقال "وأطلقت الناس بهائمهم إلى حال سبيلها".

وفي عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م كان فيضان النيل "شحيحًا من أوله إلى آخره"(٢)، فلم يروى جميع الأراضي، فشرقت بلاد الصعيد(٣).

ولم يكن الفيضان المرتفع يقل في تأثيره عن الفيضان المنخفض؛ ففي سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م تسبب ارتفاع فيضان النيل في غرق عدة أماكن وألحق بها الأضرار(٤)، "وتقطعت الجسور(٥)، كلها حتى أعيى الفلاحون سدها من قوة عزم الماء فتبحرت الأراضي"(٦).

وعندما فاض النيل سنة ٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م عن الحد اللازم لري الأراضي أغرق عدة أماكن وألحق أضرارًا فادحة بالمزروعات، خاصة

(١) بدائع الزهور، جـ٢، ص٢٨٤.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٥، ص٢١٢.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المقريزي السلوك، جـ٥، ص١٥٤، الصيرفي: نزهة النفوس، ط دار الكتب القاهرة ١٩٧٠م، جـ١، ص٧٤.

(٥) الجسور جمع جسر ، وهو يقام على حافة النهر أو الخليج ليمنع الماء أن يفيض على ضفتيه ويغرق الأراضي المحيطة. انظر قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع، ص٢٣، منى سعد محمد الشاعر: شبكة الري المصرية في عصر دولة المماليك البحرية؛ بحث بالمؤتمر الدولي حول "التاريخ الاقتصادي للمسلمين" القاهرة ١٩٩٨م، جـ٢، ص٦٠.

(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص٣٣٥، وتبحرت الأراضي أي غمرها ماء الفيضان فلا تجد له مصرفًا بسبب انخفاضها فهي أرض وطية، لذلك إذا جاء أوان الزراعة لا تزرع فينتهي زمن الزراعة قبل زوال الماء منها. انظر ابن مماتي: كتاب قوانين الدواوين، ص٢٠٤.

حقول السمسم والبطيخ[١]. ونظرًا لقوة عزم الماء تضررت بعض الجسور[٢]، وتعذر الزرع في أوانه[٣]، حيث إن بقاء الماء على الأرض فترة طويلة يؤخر الزراعة، وإذا تعجل الفلاحون بوضع البذور فسدت ولم تنبت.

وزاد ماء النيل سنة ٨٣٨هـ/ ١٤٣٥م فأغرق الكثير من الخضراوات والفاكهة[٤]، كما تسبب الفيضان الشديد سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م في غرق الكثير من المزروعات[٥]، و"الأبنية التي في الجزائر، وحصل لأصحابها جوائح"[٦]، وانقطع جسر بحر أبي المنجا[٧] فاهتم السلطان الظاهر جقمق (٨٤٢ – ٨٥٧هـ/ ١٤٣٨- ١٤٥٣م) بترميمه[٨].

---

(١) العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (حوادث وتراجم سنة ٨٢٤ – ٨٥٠هـ) تحقيق عبدالرازق الطنطاوي القرموط، ط القاهرة ١٩٨٩م، ص١٨٣.

(٢) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص٦٤

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص٨٣.

(٤) المقريزي: السلوك، جـ٧، ٢٨٩.

(٥) السخاوي: التبر المسبوك في ذيل السلوك، تحقيق نجوى مصطفى، ولبيبة إبراهيم، ط دار الكتب القاهرة ٢٠٠٢م، جـ١، ص٥١.

(٦) ابن حجر: إنباء الغمر، نفس المحقق، ط القاهرة ١٩٩٨م، جـ٤، ص١٧٧.

(٧) المصدر نفسه، وتعد قناطر أو جسر بحر أبي المنجا من أكبر قناطر مصر، أقامها أقامها السلطان الظاهر بيبرس الصالح النجمي (٦٥٨-٦٧٦هـ/ ١٢٦٠-١٢٧٧م) سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م انظر المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط الآثار – المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية د. ت، جـ٢، ص١٥١، ١٦٥.

(٨) ابن حجر: إنباء الغمر، جـ٤، ص١٧٧، السخاوي التبر المسبوك، جـ١، ص٥١.

وكان لفيضان النيل العالي سنة ٨٥٩هـ/ ١٤٥٥م أثره في تقطع الجسور وغرق معظم الأراضي(١)، كما أدى فيضان النيل سنة ٨٦٣هـ/ ١٤٥٩م إلى تقطع بعض الجسور وشرق الأراضي(٢)، وعندما اشتد فيضان النيل في شهر رمضان سنة ٩٢١هـ/ فبراير ١٥١٥م أغرق الأراضي، ولم تتراجع المياه و"حصل بذلك الضرر الشامل على المزارعين بمكث الماء على الأراضي"(٣)، كما قطع الفيضان أحد الجسور الجسور بالفيوم وتسبب في شرق أكثر بلاد الفيوم(٤).

وهكذا كان لتذبذب فيضان النيل بين النقص أو الزيادة، أو هبوطه دون ري أغلب الأراضي أثره في الزراعة التي تعد عنصرًا مهمًا من عناصر النشاط الاقتصادي للدولة.

وقد لعبت الظروف المناخية القاسية – خلال عصر المماليك الجراكسة – دورًا كبيرًا في الإضرار بالمزروعات والأشجار المثمرة، والممتلكات، والماشية، والطيور الداجنة.

ففي سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م سقطت الأمطار الغزيرة على مصر ففاضت منها الأودية، وانحدرت المياه إلى نهر النيل فغيرت لونه(٥)، وأدى تساقط المطر الشديد بمدينة الغربية في شهر ربيع الأول سنة ٨٢١هـ/

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص٣٣٠.

(٢) البقاعي: إظهار العصر (حوادث ٨٥٥ – ٨٦٥هـ)، ق٣، ص٨٥.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٤، ص٤٧٨.

(٤) نفس المصدر ص ٤٨٢.

(٥) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص٣٨٣، ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص ٥٦ ، وسبب تغير مياه النهر أن السيل يجرف معه جزءًا من التربة والمخلفات من فتات الصخور وغيره.

أبريل ١٤١٨م والذي صحبه "بَردَ كبار، زِنة الحبة منه مائة درهم"(١)، إلى تلف كميات كبيرة من المحاصيل الزراعية التي آن وقت حصادها، كما تسبب في نفوق الكثير من الأغنام(٢)، حيث إن تساقط الثلوج على المزروعات يتلفها، وتتأثر بذلك الماشية خاصةً الأغنام التي لا تستطيع تحمُّل الثلوج ودرجات الحرارة المنخفضة.

وفي شهر جُمادى الأولى سنة ٨٢٦هـ/ أبريل ١٤٢٣م هطلت الأمطار بغزارة على مصر كلها(٣)، "ويقال إنها أمطرت بمدينة المحلة من البَردَ الكبار ما يتعجب منه"(٤)، فأضرت بالكثير من المزروعات(٥)، كما شهدت مصر أمطارًا كثيفة في شهر المحرم سنة ٨٢٧هـ/ ديسمبر ١٤٢٤م لم يعهد مثلها قط(٦)، هدمت دورًا عديدة، واشتد البرد مما أدى إلى تلف الزرع، وهلاك الدواب(٧).

كما تسببت الأمطار الغزيرة وسقوط الثلوج بنواحي البهنسا(٨)

---

(١) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص١٥٨.
(٢) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص٤٦٣.
(٣) المصدر السابق، جـ٧، ص٧٧.
(٤) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص٣٠٣.
(٥) المصدر السابق، ص٣٠٢، ٣٠٣.
(٦) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص٣٢٣.
(٧) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص٩٢، ٩٣.
(٨) مدينة بالصعيد الأدنى غرب نهر النيل ، مساحتها ثلاثة آلاف وستة وأربعون فدانًا، وهي عامرة يبلغ دخلها أربعة عشر ألف دينار. انظر ياقوت: معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، طـ أولى بيروت ١٩٩٠م، جـ١، ص٦١٢، ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط بيروت د.ت، جـ٥، ص١٥.

بداية عام ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م في موت أعداد كبيرة من الأغنام والأبقار[١]، والطيور[٢]، ولا شك أن فقد الماشية والطيور الداجنة يمثل خسارة كبيرة للفلاحين، حيث تدر عليهم عائدًا ماديًّا، كما يعتمدون عليها في معيشتهم اليومية.

وفي منتصف شهر رمضان من عام ٨٣٨هـ/ أبريل ١٤٣٥م سقطت الأمطار الغزيرة وسببت السيول[٣]، "حتى زلقت البيوت وفسدت الأمتعة والزروع"[٤]، كما تعرضت بلاد القليوبية لأمطار غزيرة سنة ٨٦٠هـ/١٤٥٦م صحبها بَرَد زِنة الواحد من بعض حباته خمسون درهمًا، فأهلك المواشي، وأفسد الزرع كله[٥]، وتوفي منه بعض الناس[٦].

وفي سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦١م سقطت الأمطار الشديدة والبَرَد على بعض مدن الوجه البحري فأتلفت معظم الزرع، وأهلكت الكثير من الطيور والدواجن[٧]، وتعرضت أيضًا مدينة دمياط سنة ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م

---

(١) الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٣، ص١٤٤، ابن شاهين: نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، ط أولى بيروت ٢٠٠٢، جـ١ ق٤، ٣١٥.

(٢) المقريزي: السلوك، ج٧، ص ١٨٥.

(٣) الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٣، ص٣١٦، ابن شاهين: نيل الأمل، جـ١ ق٤، ص٣٧٨.

(٤) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص٥٥٠.

(٥) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، جـ٢، ص٥٧٠، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص٣٣٢.

(٦) ابن شاهين: نيل الأمل، جـ٢، ق٥، ص٤٥٦.

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٦، ص٢٢٨.

لتساقط الأمطار والبَرَد الكثيف، وكانت كل واحدة منه تشبه بيضة النعام، وتسببت في هلاك عدد كبير من الماشية والطيور(١).

وكان لسقوط الأمطار والبَرَد بمدينتي المنوفية والشرقية سنة ٩١٦هـ/١٥١١م أثره في تلف المزروعات، وهلاك عدد من الماشية، "وتعطب منها أولاد الفلاحين"(٢).

وكان للصقيع والبرودة الشديدة تأثير في الزراعة والثروة الحيوانية؛ ففي سنة ٨٠٦/هـ ١٤٠٣م تعرضت مصر لموجة من البرد الشديد أثرت في المحاصيل فتعذرت وجودها(٣)، "وكان يموت بالجوع والبرد كل يوم فوق الألف"(٤)، وكذلك أتلف الصقيع سنة ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م أكثر محصول الفول الأخضر(٥)، وأصابت مصر سنة ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م موجة شديدة من البرد والصقيع، أضرت بالمزروعات مثل الجزر والخيار والفول(٦)، كما عانت من الصقيع المفرط سنة ٨٩٥هـ ١٤٩٠م حيث احترقت النباتات وجمدت المياه، ومات الكثير من قسوة البرد(٧)، وضعفت الخيول "وتغيرت أمزجتها"(٨).

---

(١) السخاوي: وجيز الكلام، مجلد٣، ص١٥، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص٢٩٤.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٤، ص١٩٨، ١٩٩.

(٣) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص١٠٣.

(٤) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٢، ص٢٦٠.

(٥) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص١٧٦، ١٧٧.

(٦) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص٤٦٧، ابن شاهين: نيل الأمل، جـ٢ ، ق٥، ص١٢٦.

(٧) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص٢٦٨.

(٨) ابن شاهين: نيل الأمل، جـ٢ ق٨، ص١٧٤.

وفي سنة ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م تسببت البرودة الشديدة في إلحاق الأضرار الفادحة بالمزروعات، فعدمت الكثير من الفواكه والخضراوات، وعز وجود القمح والدريس والتبن(١)، وأيضًا نتج عن الصقيع الذي ألم بمصر سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٣م تجمد المياه، واحتراق أكثر الأشجار من شدة البرودة، كما تأثرت الغلال والخُضَر(٢).

وكان أيضًا للرياح والعواصف تأثير في الزراعة والثروة الحيوانية، ففي شوال وذي القعدة ٨٠٦هـ/ أبريل ومايو ١٤٠٤م هبت على مصر رياح وعواصف حارة(٣)، أضرت بالمحاصيل الزراعية حيث كانت رياح الخماسين الساخنة تتسبب في هيف الزرع" أي تجفف السنابل والحبوب فتتساقط على الأرض قبل أوان حصادها فتصبح ضعيفة وقليلة(٤).

وتعرضت مدينة دمياط في شهر ربيع الأول سنة ٨٣٧هـ/ أكتوبر ١٤٣٣م إلى هبوب رياح عاصفة شديدة كسرت أشجار النخيل، كما أتلفت الغيطان المزروعة بقصب السكر وأشجار الموز، وانهدمت منها البيوت، فخرج الناس للنجاة بأنفسهم إلى ظاهر المدينة فأصابتهم

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٤، ص١٥٠.
(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٤، ص٢٥٣.
(٣) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص١٠٦، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ق٣، ص٦٨٥.
(٤) مجدي عبدالرشيد بحر: القرية المصرية، ص٢٠٦.

صاعقة نتج عنها العديد من الحرائق[١].

وهبت على مصر رياح عاصفة في شهر رجب سنة ٨٦٢هـ/ مايو ١٤٥٨م "اقتلعت الأشجار وهدمت المنازل"[٢]، كما نزلت عاصفة قوية على مدينة دمياط عام ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م أضرت بالأشجار والمزروعات[٣]، ونتج عن الرياح العاصفة التي هبت على مصر سنة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م اقتلاع الأشجار خاصة أشجار المشمش وضياع المحصول[٤].

وبذلك تساهم الأحوال المناخية السيئة في تلف أكثر المزروعات، وهلاك الماشية والطيور، مما يؤثر في الحياة الاقتصادية بمصر.

كما تعرضت مصر في هذه الفترة لبعض الآفات الزراعية التي ألحقت أضرارًا بالغة بالأشجار المثمرة والمزروعات، وسببت خسائر فادحة للفلاحين.

ففي سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م هاجمت الفئران المحاصيل فأتت على الكثير من الغلال[٥]، خاصة بمدن الوجه البحري[٦]، وإذا نجت الغلال الغلال من الآفات الزراعية بالحقل فيمكن أن تفسد في الشوَن والمخازن

---

(١) المقريزي، السلوك، جـ٧، ص٢٦٢، الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٣ ، ص٢٧٥ ، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، طـ أولى بيروت ١٩٩٢م، مجلد٩، ص٣١٨.

(٢) السخاوي، وجيز الكلام، مجلد٢، ص٧١٢.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص١٨٧.

(٤) السخاوي: وجيز الكلام، مجلد ٣، ص٩٣٠.

(٥) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص٣٩٥.

(٦) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص٧٠.

بسبب السوس[١]، وذلك لقلة وعي الفلاحين بالأساليب السليمة لتخزين الغلال.

وأتلفت قطعان الفئران المحاصيل الزراعية سنة ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م[٢] وأيضًا سنة ٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م؛ حيث أتت على الكثير منها[٣]، فمن المعروف عن الفئران قدرتها في قرض المحاصيل وإتلافها، وقد أشار المقريزي[٤] إلى شدة هجوم الفئران فقال: "وأفسد الفأر مقاثي البطيخ ونحوه، وأكلوا الغلال وهي في سنبلها، وأكلوا أكثر ما في جرون[٥] نواحي الغربية بحيث إن بعض النواحي لم ترد بذارها. وكان يجتمع في الموضع الواحد أكثر من ثلاثمائة فأر".

كما تعرضت المحاصيل الزراعية سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م لهجوم قطعان الفئران وأتلفت الكثير منها[٦] وتسببت الفئران سنة ٩١٧هـ/ ١٥١١م في ضياع كميات كبيرة من الغلال، وذكر ذلك ابن إياس[٧] فقال: فقال: "ثم حدث أمر الفأر تسلط على الجرون وصار يقرض القمح والشعير وهو في سنبله، وهذا الفأر أمر من الله تعالى لا يقدر أحد على

---

(١) مجدي عبدالرشيد: القرية المصرية، ص٢٠٤.

(٢) العيني: عقد الجمان، ص٣٢٨.

(٣) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص١٧٦، ٢٢٨، ابن شاهين: نيل الأمل، جـ١، ق٤، ص٢٢٨، ٢٢٩.

(٤) السلوك، جـ٧، ص٢٢٨، ٢٢٩.

(٥) الجرون مفردها جرن، وهو المكان الذي يدرس فيه القمح وغيره بعد الحصاد ، ، كما تجفف فيه الثمار. انظر المعجم الوسيط، ص١١٩.

(٦) المقريزي: السلوك، جـ٧، ٤١٨.

(٧) بدائع الزهور، جـ٤، ص٢١٧.

رده ولا يطاق لكثرته"، وترجع أسباب كثرة الفئران إلى قلة الثقافة والتوعية، وعدم الأخذ بالشروط الصحية في المسكن، وعدم الاهتمام بالنظافة والتخلص من القمامة والمخلفات.

ومن الآفات الزراعية التي أثرت في المحاصيل الدود، حيث أتلف في عام ٨٢١هـ/ ١٤١٨م كميات كبيرة من الفول والقمح والبرسيم(١) الذي كثيرًا ما كان يتلف بسبب الدود، كما حدث في عام ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م(٢)؛ حيث تلفت مساحات شاسعة من الأراض المزروعة برسيمًا بناحية طهرمس(٣)، والمناطق المجاورة لها قدرت بألف وستمائة فدان(٤)؛ فدان(٤)؛ وذلك لأن البرسيم من أول المحاصيل التي تزرع فور انحسار ماء فيضان النيل عن الأراضي(٥)، خصوصًا إذا هبط ماء الفيضان سريعًا، سريعًا، فيتعجل الفلاحون في بذر البذور قبل الأوان مما يجعلها عُرضة للدود.

وتعرضت المحاصيل الزراعية سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م لآفة الدود(٦)، وفي العام التالي انتشرت الدودة في حقول البرسيم، فأتت على

(١) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص١٧٣، ١٧٤، الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٢، ص٤٢٠، ابن شاهين: نيل الأمل، جـ١، ق٤، ص٤٨.

(٢) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص٢٠١.

(٣) طهرمس من القرى القديمة بمصر، وظلت بهذا الاسم حتى عرفت باسم "كفر طهرمس" في العصر العثماني وإلي الآن، وهي تابعة لمحافظة الجيزة. انظر محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م ق٢، جـ٣، ص١٦.

(٤) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص٥١١.

(٥) مجدي عبدالرشيد بحر: القرية المصرية، ص٢٠٤.

(٦) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص٣٨٩.

أغلبه[١]، واستمر الأمر حتى عام ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م/ " فأفسدت الدودة كثيرًا من البرسيم المزروع بالوجه البحري، فأعيد بذره"[٢].

وفي عام ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م، هاجم الدود البرسيم الأخضر بسائر أقاليم مصر، ودمر معظم المحصول، وعبر عن ذلك ابن تغري بردي[٣]، فقال: "فإن العادة إذا أكلت الدودة زرعًا تأكل منه شيئًا وتترك أكثره، بخلاف هذه السنة فإنها صارت ترعاه أعظم من رعي الجاموس والبقر، حتى لا تدع منه العرق الواحد، وكانت تأكل الخمسين فدانًا والمائة فدان"، كما هاجم الدود محصول البرسيم سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٥م، وألحق به أضرارًا فادحة[٤].

وهدد الجراد الحقول سنة ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م، فأفسد بعض المزروعات، غير إن هبوب الرياح في هذا الوقت أهلك أعداد كبيرة منه[٥]، فرغم ما يكون من أضرار الرياح إلا أنها كانت لها فائدة في القضاء على أعدادًا كبيرة من الجراد كان يمكن أن تدمر كل المزروعات.

كما أتلفت أسراب الجراد سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م الخضراوات وغيرها من المزروعات بضواحي مدينة القاهرة[٦]، وسنة ٨٤٣هـ/

---

(١) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٤، ص١٤٣.
(٢) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص٤٦٧.
(٣) حوادث الدهور، جـ٢، ص٣٣٨.
(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص٢٢٤.
(٥) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص١٤٧، ابن شاهين: نيل الأمل، جـ١، ق٤ ، ص٢١٠، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص١١١.
(٦) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص٣٥٨، الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ٣، جـ٣، ص٤١٧، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص١٨٦.

١٤٣٩م أفسد الجراد بعض الحقول(١).

ومما سبق يتضح أن الآفات الزراعية ألحقت خسائر فادحة بالفلاحين في القرى، وتعد الفئران أشدها فتكًا بالمحاصيل والغلال.

تعتبر الأوبئة والطواعين(٢)، من أهم الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها مصر في عصر المماليك الجراكسة، والتي ألحقت أضرارًا فادحة بالزراعة، وهلك بسببها الكثير من البشر، إلى جانب الدواب والماشية والطيور، حتى الأسماك لم تسلم من الأوبئة، وترتب على ذلك الكثير من الأزمات الاقتصادية والمجاعات.

ففي سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م عمَ الوباء مدينة الإسكندرية، وبلغ من مات منه في اليوم الواحد أكثر من مائة شخص(٣)، كما أصاب

---

(١) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص٤٤١.

(٢) الوباء جمعه أوبية أو أوبئة، وهو كل مرض سريع الانتشار: انظر المعجم الوسيط، ص١٠٠٧، شديد العدوى ينتقل من مكان إلى آخر يصيب الإنسان والحيوان: انظر أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، مجلد١، ص٢٣٩٢، وسببه تلوث الهواء لكثرة العمران، وضيق الدروب، وكثرة الأتربة والقاذورات والرطوبات: انظر ابن خلدون: المقدمة ط دار التحرير القاهرة ١٩٦٦م، ص٢٥٨، المقريزي: الخطط، جـ١، ص٣٦٦. أما الطاعون فهو نوع من الوباء، فليس كل وباء طاعونًا ويصيب الطاعون المواضع الرخوة من الجسم، والمغابن – مواضع الأفخاذ والأباط من البدن – وأكثر ما يكون تحت الإبط، وخلف الأُذن: انظر الذهبي: الطب النبوي، ط١ القاهرة ١٩٦١، ص٣٠، مبارك محمد الطراونة: الأوبئة والطواعين وآثارها الاجتماعية في بلاد الشام في عصر المماليك الجراكسة، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، مجلد٤، عدد٣، لسنة ٢٠١٠، ص٤٧.

(٣) المقريزي: السلوك، جـ٥، ص١٨٤، ابن الصيرفي: نزهة النفوس، جـ١، ص١٣١، السخاوي: وجيز الكلام، مجلد١، ص٢٧٧.

الوباء الثروة الحيوانية خاصةً الأبقار، وكان ذلك من النكبات التي حلَّت بالفلاحين؛ لأن الأبقار يعتمد عليها في أعمال الزراعة، ومن ذلك ما كان في شهر رمضان سنة ٧٩٤هـ/ أغسطس ١٣٩٢م حيث أصاب الوباء البقر بكافة أقاليم مصر، وفني منه الكثير(١)، مما أدى لانخفاض أسعاره حتى بيعت البقرة الواحدة بخمسة دراهم(٢)، ورغم ذلك لم تجد من يُقْبِل على شرائها(٣)، وعاف الناس لحوم البقر وامتنعوا عن أكلها كليًّا(٤)، "وخلى غالب الزرايب التي بظاهر القاهرة من البقر وجافت الحارات التي بالقرب من الزرايب لكثرة موت البقر ورميها على أبواب الزرايب، وكذلك في الأرياف"(٥)، ومن المعروف أن عدم دفن الحيوانات الميتة ورميها بهذا الشكل يُسهم بشكل كبير في نشر الأمراض والأوبئة.

وفي شهر ربيع الأول من عام ٨٠٠هـ/ نوفمبر ١٣٩٧م عمَ الوباء مدينتي الشرقية والغربية(٦)، واستمر مدة ثلاثة أشهر، توفي

(١) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ١، ص٤٣٧، السخاوي: وجيز الكلام، مجلد١، ص٣٠٢، السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، ط القاهرة ١٩٩٨، جـ٢، ص٢٧٠.

(٢) السخاوي: وجير الكلام، مجلد١، ص٣٠٢، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ق٣، ص٤٥٤.

(٣) ابن الفرات: تاريخه، تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين، ط بيروت ١٩٣٨، مجلد٩، جـ٢، ص٣٠٨.

(٤) المقريزي: السلوك، جـ٥، ص٣٢٥، الصيرفي: نزهة النفوس، جـ١، ص٣٤٧.

(٥) ابن الفرات: تاريخه، مجلد٩، جـ٢، ص٣٠٨.

(٦) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٢، ص٨، السخاوي: وجِيزَ الكلام، مجلد١، ص٣٢٩.

خلالها الكثير من السكان[١]، حتى أصبح الناس "لا يلحقون دفن الموتى فيجعل كل عشرين في حفرة"[٢]، ومن الواضح أن كثرة الوفيات أعجزت الناس عن حفر لحد لكل متوفًّى فقاموا بالدفن الجماعي.

وانتشر الطَّاعون بمصر في شهر ربيع الأول سنة ٧٩٠هـ/ مارس ١٣٨٨م، وزادت حدته في شهر جُمادى الأولى/ أبريل، فقدَّر عدد من يموت يوميا بأكثر من مائتين وخمسة وثلاثين إنساناً[٣]، منهم مجموعة من المماليك الذين يقيمون في الطباق[٤]، وأكد ذلك ابن الفرات[٥]، فقال: "وصار في كل يوم يطلعون إلى القلعة بما يزيد عن عشرين تابوتًا".

كما ظهر الطاعون سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م خاصة بالوجه

(١) الصيرفي: نزهة النفوس، جـ١،ص٤٧٢، محمد فتحي الشاعر: الشرقية في عصري سلاطين الأيوبيين والمماليك، ط القاهرة ١٩٩٧م، ص٨٧.

(٢) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٢، ص٢١.

(٣) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، عَنَى بتحريره ونشره قسطنطين زريق، ط بيروت ١٩٣٦م، مجلد٩، جـ١، ص٢٧-٢٩، المقريزي: السلوك، جـ٥، ص٢٠٦-٢٠٨.

(٤) ابن حجر: إنباء الغُمر، تحقيق حسن حبشي، ط القاهرة ١٩٩٨م، جـ١ ، ص٣٥٠، والطباق أو الأطباق مفردها طبقة أو طبق، وهي الأماكن التي يعيش بها المماليك السلطانية وغيرهم، فهي بمثابة مدارس عسكرية بعضها كبير المساحة يمكن أن يضم ألف مملوك، والطباق موجود بعدة أماكن بالقاهرة خاصةً بالقلعة: انظر عبدالمنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ط٢ القاهرة ١٩٧٩م جـ١، ص١٥، محمد قنديل البقلي: التعريف مصطلحات صبح الأعشى، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣م، ص٢٢٧، ٢٢٨.

(٥) تاريخه، مجلد٩، جـ١، ص٢٨.

القبلي، فعمَ الخراب أكثر بلاد الصعيد[١]. ومات الكثير من الفلاحين حتى خلت القرى[٢]، ويرجع ذلك إلى سرعة انتقال الطاعون من قرية لأخرى، حيث لم تتوافر التدابير الوقائية اللازمة والوسائل الكفيلة بمنع انتشاره في هذه الفترة[٣]، كما أصيبت الأبقار "بالموت الذريع"[٤].

ومما سبق يتضح أن خراب بلاد الصعيد راجع إلى هلاك أعداد ضخمة من سكان القرى – وهم من الفلاحين – مما يترتب عليه عدم وجود من يقوم بفلاحة الأرض وزراعتها، كما تأثرت الثروة الحيوانية.

وعَمَ الطاعون مصر سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٧م، وكانت له أثار شديدة[٥]، فكثر عدد المصابين به، وأسرع الموت في الناس[٦].

وفي عهد السلطان المؤيد شيخ المحمودي (٨١٥ – ٨٢٤هـ/ ١٤١٢ –١٤٢١م)، تعرضت مصر للإصابة بالطاعون ثلاث مرات؛ أولها سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م حيث هلك به الكثير[٧]، فكان يموت في اليوم

---

(١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، جـ١٣ ، ص٥٢ ، السخاوي: وجيز الكلام مجلد١، ص٣٨٢.

(٢) محمد عبدالنعيم: أزمة اللحوم، ص٢٠، إبراهيم على طرخان: مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ط١ القاهرة ١٩٦٠م. ص ٢٣٨.

(٣) يوسف درويش غوانمة: الطاعون والجفاف وأثرهما على البيئة في جنوب الشام (الأردن وفلسطين) في العصر المملوكي، مجلة علوم فصلية دمشق ١٩٨٣م، عدد ١٤، ص٢٣٤.

(٤) المقريزي: إغاثة الأمة، ص١٥٨.

(٥) السخاوي: وجيز الكلام، مجلد٢، ص٣٨٩.

(٦) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص١٨١، ١٨٢.

(٧) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص٨.

الواحد مائة وعشرون شخصًا تقريبًا[١]، والسبب في زيادة الوفيات يرجع إلى رداءة المناخ؛ حيث ارتفعت درجات الحرارة عن المعتاد وساعد ذلك في انتشار الوباء[٢].

كما ظهر الطاعون بمصر في شهر المحرم عام ٨١٩هـ/ فبراير ١٤١٦م عقب المجاعة التي ألمت بالبلاد، وعانت القاهرة من كثرة الوفيات "حتى كان يموت في الدار الواحدة أكثر من فيها"[٣]، ثم امتد الطاعون ليشمل بلاد الصعيد[٤]، وفي شهر ربيع الأول/ أبريل من نفس العام ازدادت حدة الطاعون، وكثُرَت الوفيات إلى أن بلغ عدد من يموت يوميًا أكثر من أربعمائة نسمة[٥]، "وشنَّع حال البلد من كثرة ما بها من الأحزان، فلا تجد إلا باكيًا على ميت أو مشغولاً بمريض"[٦]، وعبَّر الشيخ الشيخ بدر الدين حسن بن حبيب عن سرعة انتشار الطاعون وشدة فتكه بالناس فقال:

إن هذا الطاعون يفتك في العالم فتك امرئ ظلوم حسود

---

(١) العيني: السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تحقيق فهيم محمد شلتوت ط٢ القاهرة ١٩٩٨م، ص٣١٥.

(٢) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص٣٤٨، فتحي سالم حميدي: وباء الطاعون وأثره على مدينة القاهرة في العصر المملوكي، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، مجلد ١٢ لسنة ٢٠١٣، عدد٤، ص٤٥٩، ٤٦٠.

(٣) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص٨٧.

(٤) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص٤٠٨.

(٥) العيني: السيف المهند، ص٣٤٤، الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٢، ص٣٦٣.

(٦) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص٤٠٩، ٤١٠.

ويطوف البلاد شرقًا وغربًا ويسوق الخلوق نحو اللحود[١]

ويعتبر الطاعون الذي اجتاح مصر سنة ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م من أشد الطواعين، وابتدأ ظهوره بالقاهرة[٢]، ثم "فشا بالديار المصرية وتزايد بها وبأعمالها"[٣]، وفي ربيع الثاني/ أبريل من هذا العام "اشتد أمر الفناء والغلاء بالديار المصرية، وعَمَ سائر ضواحيها، ومات من أهل القاهرة والفلاحين نحو النصف"[٤]، وهنا نجد تقدير ابن إياس لعدد الوفيات من أهل القاهرة والفلاحين وإن كان فيه شيء من المغالاة فهو يعطي مؤشرًا عن كثرة الوفيات، مما يؤثر في الحياة الاقتصادية بمصر، ويقلص من القوة العاملة الزراعية.

وفي سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م ابتدأ الطاعون بمدن الوجه البحري خاصة مدينتي النحرارية[٥]، ودمنهور[٦]، كما أصاب مدينة القاهرة ،

---

(١) ياسين الأيوبي : آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي ، ط أولى لبنان ١٩٩٥م، ص٢٢٣.

(٢) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص١٩١، الصيرفي: نزهة النفوس ، جـ٢ ، ص٤٤٢.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، تحقيق جمال محمد محرز وفهيم محمد شلتوت، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م، جـ١٤، ص٧٨.

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص٤٥.

(٥) النحرارية تتبع مدينة المحلة وهي ذات أسواق وقياسر وفنادق، وهي جارية في إقطاع عشرة من الأمراء مقدمي الألوف: انظر ابن دقمان: الانتصار، جـ٥، ص٨٦، وظيفتهم تسمى تقدمه أو تقادم ألف أو ألوف، ومن يتول هذه الوظيفة يكن تحت قيادته ألف من أمراء المئين: انظر محمد قنديل البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٣١٩.

(٦) الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٣، ص١٨٢.

وأخذت الوفيات تتزايد بشكل كبير حتى قال عنه ابن تغري بردي[١] "هذا الطاعون هو الفناء العظيم"، فإذا أصاب بيتًا يأتي على أهله فيقوم المشيعون بتعليق مفاتيح البيت في مؤخرة النعش[٢].

وكان للطاعون تأثير كبير في القرى لعدم الأخذ بالوسائل الصحية في المعيشة، فالحياة بدائية، والبيوت ملتصقة فيسهل انتشار العدوى وتفشي الإصابات لذا يموت في القرية الواحدة كل يوم ستمائة نسمة تقريبًا[٣]، فبارت الأراضي وساءت الأحوال الاقتصادية لكثرة الوفيات[٤]، وانشغال الأحياء بالمرضى ودفن الموتى[٥]، كما امتد خطر الطاعون إلى الثروة الحيوانية والطيور فنفقت الدواب والأسماك[٦].

وفي عام ٨٤١هـ/ ١٤٣٨م أصاب الطاعون الأبقار وتسبب في نفوق أعداد كبيرة منها[٧]، فتأثرت أعمال الحقل، كما "عز وجود اللحم البقري جدًّا"[٨]، ثم ظهر الطاعون في الغنم والدجاج والدواب وغيرها[٩]،

---

(١) النجوم الزاهرة، جـ١٤، ص٣٣٨.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص١٣٢.

(٣) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص٢٠٦.

(٤) سعيد عبدالفتاح عاشور: التدهور الاقتصادي في دولة سلاطين المماليك ضمن بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ط بيروت ١٩٧٧م، ص٣٥٨.

(٥) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص٢٠٧.

(٦) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص٢٠٨، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص١٢٨، عمار محمد النهار: تاريخ المماليك، ط دمشق ٢٠١٤م، ص٢٤٣.

(٧) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص٣٤٩، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص١٨١.

(٨) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص١٨١.

وغيرها[١]، و"وجد في النيل سمك كثير طاف قد مات من الطاعون"[٢]، وفي شهر رمضان/ فبراير من هذا العام أصاب الناس أيضًا، وهلك به الكثير[٣].

كما أصاب الطاعون مصر سنة٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م ، وأخذ في الانتشار والتزايد [٤]، وخلف وراءه الكثير من الوفيات حيث بلغ عدد الموتى يوميًّا ألف إنسان[٥].

وقد عبر أحد الشعراء عن شدة فتك الطاعون في هذا العام فقال:

أرى الطاعون يفتك في البرايا ويطعن طعن أرباب الحراب

وينشد عند هدم العمر منا لدوا للموت وابنوا للخراب[٦].

وعانت مصر من ظهور الطاعون سنة ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م[٧]، واستمر للعام التالي مع تزايد الوفيات لاسيما في القرى[٨]، فأدى ذلك إلى توقف أعمال الري والزراعة في كثير من الأقاليم[٩].

---

(١) الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٣، ص٤١٧.

(٢) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص٣٥٨.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص٢١٠.

(٤) العيني: عقد الجمان (حوادث عام ٨٢٤ – ٨٥٠هـ)، ص٦١٩، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص٣٥٩.

(٥) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٤، ص٢٢٤، الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٤، ص٢٩٨، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، مجلد٩، ص٣٨١.

(٦) السخاوي: التبر المسبوك، جـ١، ص٨٧.

(٧) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، جـ١، ص١٨٣.

(٨) فتحي سالم حميدي: وباء الطاعون، ص٤٦٤.

(٩) قاسم عبد قاسم: النيل والمجتمع، ص٦٠.

وفي عهد السلطان الأشرف إينـــال (٨٥٧-٨٦٥هـــ/ ١٤٥٣-١٤٦٠م) عانت مصر من أشد الطواعين الذي بدأ أولا بمدينتي الشرقية والغربية في ربيع الثاني سنة ٨٦٤هـ/ يناير ١٤٦٠م[١]، وكـــان شـــديد الأثر بالريف، فإذا دخل قرية أباد غالب من فيها [٢]، مما ترتب عليه ترك ترك مساحات كبيرة من الأراضي بدون زراعة، وفـــي شـــهر جمـــادى الآخرة/ مارس من هذا العام ازدادت حدة الطاعون بالقاهرة، وكان نادرًا ما ينجو مريض من الموت [٣]، وأصبح كل إنسان يحسب حساب الموت ويتوقعه، وفي هذا المعنى قيل:

أسـفي علـى سـكان مصـر إذا غـدا للطعـن فيهـا ذات وخـز سـاري

المـوت أرخـص مـا يكـون بحبـه لكـــن هـــذا صـــار بالقنطـــار[٤]

وظهر الطاعون بالإسكندرية في شهر المحرم ســنة ٨٧٣هـــ/ أغسطس ١٤٦٨م، ومات به الكثير من الناس[٥]، ثم انتقل إلى إقليمـــي البحيرة والغربية[٦]، وفشا بالقاهرة، وكان الموتى كل يوم في تزايـــد[١]،

(١) ابن تغري بردي: النجوم، جـــ١٦، ص١٣٨، ابن شاهين: نيل الأمـــل، جـــ٢، ق٦، ص٧٥.

(٢) ابن تغري بردي: ج،١٦، ص١٣٨.

(٣) المصدر السابق، ص١٤٣، ١٤٤.

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، جـــ٢، ص٣٥٩.

(٥) السخاوي: وجيز الكلام ، مجلد٢، ص٧٩٩ ، ابن إياس بدائع الزهور ، جـــ٣، ص١٨، ٢٠.

(٦) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، جـــ٣، ص٦٨٨، ابن شـــاهين نيـــل الأمـــل، جـــ٢، ق٦، ص٣٥٧.

وصاحب انتشار الطاعون معاناة أهل البلاد من الغلاء والمجاعة[٢]. وقد سجل السخاوي[٣]. معاناة الناس فقال "وقاسى الناس في هذه السنة من اجتماع الفناء والغلاء والمحن"، وعظم أمر الطاعون في شهر شعبان/ فبراير ١٤٦٩م، وقدر من مات به في هذا الشهر بحوالي عشرة آلاف نفس[٤]، وقد عبر عن ذلك الشهاب المنصوري فقال:

يا نعم عيشة مصر وبئس ما قد دهاها

لما فشا الطعن فيها حاكي السهام وباها[٥]

وكان طاعون سنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م "طاعونًا مهابًا يموت منه الإنسان في يومه"[٦]، ظهر أولاً بمدينة دمياط[٧]، ثم بالمحلة والقُرى المحيطة بها[٨]، كما انتشر الطاعون ببلاد الصعيد "ومات به من الخلق ما لا يحصى عددهم"[٩]، وهكذا عانى الريف المصري بشدة من جراء

=

(١) الصيرفي: إنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق حسن حبشي، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢م، ص٥٣، ٥٥، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص٢٨.

(٢) ابن شاهين نيل الأمل، جـ٢، ق٦، ص٣٤٦، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص٢١.

(٣) وجيز الكلام، مجلد٢، ص٨٠٠.

(٤) الصيرفي: إنباء الهصر، ص٥٨، ابن شاهين: نيل الأمل، جـ٢، ق٦، ص٣٦٣-٣٦٥.

(٥) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص٢٨.

(٦) المصدر السابق: ص١٢٢.

(٧) السخاوي: وجيز الكلام، مجلد٣، ص٨٧١.

(٨) نفس المصدر، ص١٦٧.

(٩) ابن شاهين: نيل الأمل، جـ٢، ق٧، ص١٧٣.

الإصابة بالأوبئة والطواعين خاصةً أواخر عصر المماليك الجراكسة(١).

ويعتبر طاعون عام ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م من أسوأ الطواعين التي أصابت مصر – وهو الطاعون الثالث الذي وقع في سلطنة الأشرف قايتباي – وأودى بحياة الكثير من الناس(٢)، وصاحب هذا الطاعون مجاعة شديدة المت بالبلاد وتسببت في زيادة معاناة الناس(٣).

كذلك أصابت الأمراض الحادة الثروة الحيوانية بمصر سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م فنفقت الكثير من الأبقار والجواميس، مما ترتب عليه قلة الألبان والأجبان(٤)، و"بلغت أثمانًا لم نعهد مثلها"(٥)، وأيضًا أصابت الأمراض الحادة أهل القاهرة سنة ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م، وكثرت الوفيات بها(٦).

وفي سنة ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م انتشرت الأمراض الحادة في الحيوانات خاصة الجاموس والأبقار والجمال، ونفقت أعداد كبيرة منها(٧)، منها(٧)، والمعروف أن نفوق الماشية عند الفلاح كارثة لا تقل عن هلاك الزروع، وضياع المحصول، فهو يعتمد عليها في زراعة أرضه، وتوفير

---

(١) عثمان على محمد عطا: الأزمات الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي وأثرها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، ط القاهرة ٢٠٠٢م، ص٢٩٢.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص٢٨٦، ٢٨٧.

(٣) قاسم عبده قاسم: النيل المجتمع، ص٦٧.

(٤) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص١٢٨، ١٣٠، ابن شاهين: نيل الأمل، جـ١، ق٤، ص١٨٩، ١٩٠.

(٥) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص١٣٠.

(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص٢٩٣.

(٧) ابن شاهين: نيل الأمل، ج٢ـ، ق٧، ص٤٣١.

احتياجاته اليومية.

ونستخلص مما سبق أن للأوبئة والطواعين آثارًا سلبية كبيرة في الحياة الاقتصادية، فيهلك منها البشر، وتؤدي إلى بوار الأراض لعدم وجود من يزرعها، كما يصيب الثروة الحيوانية وهي القوة المحركة، ومصدر مهم للغذاء والدخل.

وإلى جانب الأوبئة والطواعين فهناك الزلازل [١] التي تعد من أخطر الكوارث الطبيعية، حيث ينتج عنها خراب ودمار، وخسائر في الأنفس والثمرات، والذي يزيد من خطورتها أنها يصعب التنبؤ بها قبل حدوثها[٢].

وقد تعرضت مصر في عصر المماليك الجراكسة لسلسلة من الزلازل كان أغلبها خفيفًا لم ينتج عنه أي خسائر، لذلك سنركز على الزلازل

---

(١) الزلزلة والزلزال: تحريك الشيء، قال تعالى ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ انظر سورة الزلزلة آية (١)، أي إذا حركت حركة شديدة : انظر ابن منظور: لسان العربي، مجلد ١١، ص٣٠٧، ٣٠٨، والزلازل هي هزات أرضية شديدة وسريعة تحدث في بعض المناطق بالقشرة الأرضية نتيجة للإجهادات الواقعة على الصخور الموجودة في باطن الأرض والتي تقوم بدورها باختزان هذه الإجهادات في صورة طاقة، فإذا زادت هذه الطاقة عن قدرة الصخور على تحملها تبدأ بالانكسار والتشقق على شكل موجات زلزالية تهز الأرض: انظر سامية على مصيلحي: الزلازل وآثارها في مصر الإسلامية منذ عصر الولاة حتى نهاية العصر المملوكي، بحث أُلْقي في المؤتمر الدولي (الدراسات الإنسانية والقضايا المعاصرة) بجامعة الأزهر القاهرة في ٢٩ أبريل ٢٠٠٣م، ص٢، عادل عوض: الزلازل مأساة هزت العالم (خطر الزلازل على البيئة)، ط أولى بيروت ١٩٩٢م، ص١٥، ١٦.

(٢) سامية على مصيلحي: الزلازل، ص١.

القوية التي تعرضت لها البلاد وكان لها آثار اقتصادية منها، الزلزال الذي حدث بالقاهرة في شهر رجب سنة ٨٨١هـ/ أكتوبر ١٤٧٦م، وكان شديدًا أفزع الناس، وانهدم بسببه بعض الأبنية، ولو استمر للحظات أخرى لوقع منه الكثير من الضرر(١).

وكذلك وقعت زلزلة هائلة بالفسطاط والقاهرة في شهر المحرم من عام ٨٨٦هـ/ مارس ١٤٨١م لم يُعهد مثلها و"ماجت منها الأرض والجبال والأبنية موجًا"(٢)، وقد أسهب المؤرخون في وصفها فقال ابن إياس(٣): "وتحركت المآذن ومالت، وسمع للأرض دوي كدوي الرحا، وكان ذلك بعد العصر، فاستمرت نحو ثلاث درج وهي في اضطراب، حتى دهشت منها الناس، وخرج النساء من البيوت وهن حاسرات عن وجوههن وحصل للناس غاية الرعب"، وهدمت الكثير من الأماكن والأبنية(٤).

كما تعرضت القاهرة لزلزلة عظيمة في جمادى الأولى سنة ٩٠٨هـ/ نوفمبر ١٥٠٢م نتج عنها هدم عدة بيوت وأماكن(٥).

أثر الكوارث في الصناعة والحرف:

(١) ابن شاهين: نيل الأمل، جـ٢، ق٧، ص١٦٤، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص١٢١.

(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ط دار الجيل بيروت ١٩٨٨، ص٥٨٥.

(٣) بدائع الزهور، جـ٣، ص١٧٨.

(٤) السخاوي: وجيز الكلام، مجلد٣، ص٩١٨، ابن شاهين: نيل الأمل، جـ٢، ق٧، ص٢٨٢.

(٥) ابن الحمصي: حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، ط أولى بيروت ١٩٩٩م، جـ٢، ص١٦٤.

ازدهرت الصناعة والحرف في عصر المماليك الجراكسة: وكانت تعتمد على الثروات المعدنية والأحجار – التي تستخدم في صناعة أحجار الطواحين – إلى جانب المنتجات الزراعية والحيوانية(١)، وعندما تعرضت مصر في تلك الفترة لسلسلة من الكوارث الطبيعية نتج عنها وفاة أعداد كبيرة من الفلاحين، والصنَّاع، وأصْحَاب المهن المختلفة، تدهور الإنتاج الزراعي، وقَلَّت الأيدي العاملة، مما أدى إلى تراجع النشاط الاقتصادي وتوقف العمران في البلاد، وتعطّل أكثر الصناعات(٢).

ومن الكوارث الطبيعية التي أثرت في الصناعة والحرف بمصر توقف النيل عن الفيضان، فعندما ارتفعت أعداد الوفيات في الفترة بين عامي ٧٩٦ – ٧٩٨هـ/ ١٣٩٤ – ١٣٩٦م، نتيجة لانخفاض منسوب النيل وما أعقبه من مجاعة(٣) ترتب على ذلك ارتفاع أجور العمال وأصحاب المهن المختلفة(٤).

لا شك أن فقد عدد كبير من العمال والحرفيين يؤثر في الصناعة، ويؤدي إلى ارتفاع أجور الأيدي العاملة، وبالتالي غلاء السلع والمنتجات، ففي سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م عندما نقص النيل تأثرت حرفة السقائين(٥)

---

(١) محمد فتحي الشاعر: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، طـ دار المعارف ١٩٩٣م، ص١٠٦.

(٢) سعيد عبدالفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ط ثانية القاهرة ١٩٧٦م، ص٣٣٨، ٣٣٩.

(٣) المقريزي: السلوك، جـ٥، ص٣٨٥.

(٤) قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع، ص٥٧.

(٥) هم أصحاب الروايا ينقلون الماء العذب من النيل أو الآبار القريبة منه على الجمال إلى البيوت والأسواق أو يحملونه على ظهورهم في الجرار النحاسية أو =

حيث غلت روايا الماء بالقاهرة وضواحيها، وعجز الناس عن شـــراءها، وعانوا من العطش خاصة مع شدة حرارة الجو(١)، مما دفع الناس إلـــى الخروج مع خدمهم لإحضار الماء العذب إلى دورهم على ظهور الحميـــر أو على الرؤوس، ولم يحدث هذا من قبل(٢).

وعندما انخفض فيضان النيل سنة ٨٠٦هـــ/ ١٤٠٣م عانت مصـــر من الجفاف (٣)، وعمَّ القَحْط، ومات الكثير من الجوع (٤)، وكان منهم عـــدد كبير من العمال ، لذلك ارتفعت الأجور بدرجة كبيرة في شتى المهـــن (٥) ، من "الأجراء والحمَّالون والخدم والسواس والحاكـــة والبنـــاة والفعلـــة"(٦)، وشحت الغلال، ولم يجد الناس الخبز(٧) بالقاهرة لمدة ثلاثة أيام(٨)، كما غلت رواية الماء لارتفاع أسعار حمل التبن – علف الدواب والجِمال – والذي بلغ

=

القِرب خاصة عندما يتنقلون بين الحارات الضيقة: انظر ناصر خسرو: سفر نامة، ترجمة يحي الخشَّاب، ط القاهرة ١٩٩٣، ص١٠٦.

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، جـــ١، ق٣، ص٥٨٥.

(٢) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـــ٢، ص١٠٥، ابن إياس: بدائع الزهور، جـــ١، ق٣، ص٥٨٥.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، مجلد٦، جـــ١٢، ص٣٠١.

(٤) المقريزي: إغاثة الأمة، ص١١٦.

(٥) قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع، ص٥٩.

(٦) المقريزي: إغاثة الأمة، ص١٥٠.

(٧) كان للخبز أهمية خاصة للطبقات الشعبية، ويعتبر مؤشرًا يوميًّا يوضـــح مـــدى استقرار أحوال هذه الطبقات: انظر محاسن محمد الوقاد: الطبقات الشـــعبية فـــي القاهرة المملوكية: ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م، ص١٣٣.

(٨) الصيرفي: نزهة النفوس، جـــ٢، ص١٨٠.

أكثر من مائة درهم[١].

وكذلك في عام ٨١٦هـ/ ١٤١٣م تدهورت أحوال السقائين لموت جِمَالهُم من قلة العلف، وعز الماء العذب، وبلغ سعر الراوية الواحدة خمسة عشر درهمًا[٢].

وقد تأثرت صناعة الخبز بمصر عام ٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م بسبب هبوط النيل حيث قلَّ محصول القمح، وعز توافر الدقيق بالطواحين[٣]، وازدحم الناس على الأفران للحصول على الخبز [٤]، كما تكررت الأزمة سنة ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م حيث تكالب الناس على شراء القمح الذي شح وجوده، واختفى الخبز من الأسواق[٥]، وعبر أحد شعراء العصر عن ذلك فقال:

وإذا غلا شيء على تركته فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

إلا الدقيق فما لنا عنه غنى فإذا غلا يومًا فقد عم البلا[٦]

ونتيجة للجفاف الذي شهدته مصر سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م تعطلت أكثر الدواليب[٧] بدمياط لارتفاع أسعار التبن حيث "بيع الحمل

---

(١) نفس المصدر، ص١٨٦.

(٢) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص٣٤٨، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص٦.

(٣) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص١٣٠.

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص١٠٤.

(٥) نفس المصدر، ص٢٨٣.

(٦) نفس المصدر، ص٢٨٤.

(٧) الدواليب مفردها دولاب، وهو كل آلة تدور على محور من خشب أو غيره كدولاب البئر، ويعرف بالغراف حيث يغوص جانب منه في الماء ثم يصعد لأعلى عند دورانه محملًا بالماء فيصبه على الأرض لسقايتها: انظر رينهارت دوزي: =

التبن بثغر دمياط بألف درهم"[١].

كما اتخذ أغلب الناس الرحى في بيوتهم بعد أن ارتفعت أجرة طحن إردب[٢] القمح فبلغت مائة وعشرين درهمًا[٣]، ويعتبر طحن الحبوب من أهم الحِرَف التي مارستها الطبقات الشعبية بمصر[٤].

وفي سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٥م تسبب شح النيل في قلة المحاصيل وانعدام الأعلاف[٥]، وعانى الناس من عدم توافر الماء العذب، مما أدى إلى غلاء راوية الماء، واستمر الأمر إلى سنة ٨٩٢هـ/ ١٤٨٦م مما اضطر الخبازون إلى استخدام مياه الآبار المالحة في إعداد الخبز، الأمر الذي ضاق به الناس لأن هذه المياه تغير طعم الخبز وتجعل به مرارة[٦].

وبصفة عامة أصاب التدهور صناعة الخبز أواخر عصر المماليك الجراكسة، فكان رغيف الخبز على جانب كبير من الرداءة وصغر

=

تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، ط وزارة الثقافة والأعلام العراق ١٩٨١م، جـ٤، ص٣٩٨.

(١) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، جـ٢، ص٣١٧.

(٢) الإردب مكيال مصري قديم يساوي ست ويبات أي حوالي ٦٩.٦ كيلوجرام من القمح: انظر فالترهنتس: المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلمي، ط الأردن د.ت، ص٥٨، ٥٩.

(٣) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، جـ٢، ص٣١٨.

(٤) محاسن محمد الوقاد: الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية، ص١٣١.

(٥) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص٢٢٤.

(٦) ابن الحاج: المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد، ط القاهرة، د.ت، جـ٣، ص١٧٣، ١٧٤، محاسن محمد الوقاد: الطبقات الشعبية، ص١٣٣.

الحجم[١].

وقد كان لانتشار الأوبئة والطواعين بمصر أثرها في الصناعات والحِرَف اليدوية. ففي سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م قل أعداد الحرفيين والصنَّاع وتضاعفت أجورهم لوفاة الكثير منهم بسبب الوباء حتى "لم يوجد منهم الواحد إلا بعد تطلب وعناء"[٢].

كما تسبب انتشار الطاعون ببلاد الصعيد سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م في كثرة الوفيات[٣] فتضررت صناعة السكر "لقلة زراعة القصب واعتصاره"[٤].

وقد نتج عن طاعون سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م وفاة الكثير كان منهم أعداد من الصيادين[٥]، ومع تزايد أعداد من ماتوا بهذا الطاعون عز "وجود الحمَّالين للموتى والغسَّالين والحفَّارين للقبور"[٦]، فكان يتم الدفن الجماعي بأن "تلقى في الحفرة منها العدة الكثيرة من الأموات وأكلت الكلاب كثيرًا من أطراف الأموات"[٧].

وعانى الناس في مصر سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٨م من قلة الخدم لهلاك أغلب العبيد والإماء والرقيق بالطاعون حتى كادت تخلو منهم

(١) البقاعي: حوادث سنة ٨٥٥-٨٦٥هـ، ق١، ص٣٥١، ٣٥٢.
(٢) المقريزي: إغاثة الأمة، ص١٥٠.
(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٣، ص٥٢.
(٤) المقريزي: إغاثة الأمة، ص١٥٨.
(٥) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص٤٣٧، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، مجلد٩، ص٢٩٢.
(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص١٢٩.
(٧) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص٢٠٧.

البيوت مما اضطر أهلها إلى خدمة أنفسهم[١]، وكذلك عز وجود الخدم سنة ٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م لكثرة من مات منهم بالطاعون[٢].

وترتب على طاعون سنة ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م فقد الكثير من الأيدي العاملة [٣]، كما تأثرت حرفة الجزارة، وقل إنتاج اللحوم لهلاك الكثير من الأبقار بالطاعون[٤].

وكان لشدة طاعون سنة ٨٦٤هـ/ ١٤٦٠م أثره في إهمال الناس للمعايش، وتوقف أحوالهم[٥]، كما قام الكثير منهم سنة ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م بغسل موتاهم وتكفينهم لعدم وجود الغسَّالين[٦].

ومع كثرة الأزمات الاقتصادية التي تعرضت لها مصر في عصر المماليك الجراكسة اضطر بعض أرباب الحرف إلى مزاولة حرف أخرى إلى جانب حرفهم الأساسية[٧] لمواجهة متطلبات المعيشة، ومن ذلك قيام بعض أصحاب الصنَّائع والحِرف والباعة بمهنة حفر القبور لكثرة من يموت ولا

---

(١) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص٣٥٩، الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٣، ص٤١٩.

(٢) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، جـ١، ص١٠٤، السخاوي : التبر المسبوك ، جـ١، ص١٩٨.

(٣) فتحي سالم حميدي: وباء الطاعون، ص٤٦٤.

(٤) محمد عبدالنعيم محمد: أزمة اللحوم، ص٢٠، ٢١.

(٥) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص٣٥٩.

(٦) السخاوي: وجيز الكلام، مجلد٣، ص١٢٣٧، ١٢٣٩.

(٧) إلهام حسين دحروج: ملاحن بعض الحرفيين في الأسواق في مصر المملوكية، ضمن ندوة تاريخ الوطن العربي عبر العصور (التاريخ الاقتصادي)، القاهرة ٢٠٠٦م، حصاد ١٤، ص٢٥١، أحمد صادق الجمال: الأدب العامي في مصر، ط القاهرة ١٩٦٦م، ص١٩١.

يجد من يقوم بلحده، وأيضًا للتكسب بعد أن كسد العمل بالمهن الأخرى(١).

وبذلك أثرت الكوارث الطبيعية في الصناعات والحِرف فأصابها التدهور حيث قل العمَّال والحرفيون، وارتفعت أجورهم، فتوقفت أحوال الناس، مما دفعهم إلى خدمة أنفسهم والقيام بأغلب الأعمال بما فيها تجهيز الموتى ومواراتهم.

أثر الكوارث في التجارة:

تمتعت مصر في عصر المماليك الجراكسة بنشاط تجاري كبير، وكانت حلقة الوصل بين الشرق والغرب، وراجت أسواقها الداخلية المتعددة، حيث اختص كل سوق بنوع معين من المتاجر(٢).

وكما أثرت الكوارث الطبيعية في الزراعة والصناعة والحرف أثرت كذلك في التجارة فكان لانخفاض فيضان النيل أثره في غلاء أسعار المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية ومنتجاتها، وقلة حركة المراكب المحملة بالسلع، وأيضًا يتسبب الفيضان العالي في غرق المراكب والطرق والأراضي، وتوقف حركة البيع والشراء بالأسواق لقلة المحاصيل والبضائع الواردة إليها.

ومن ذلك ما حدث سنة ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م عندما انخفض فيضان النيل فشحت الغلال، وارتفعت أسعارها حتى وصل سعر إردب القمح إلى خمسين درهمًا(٣).

---

(١) السخاوي: وجيز الكلام، مجلد٣، ص١٢٣٩.

(٢) سعيد عبدالفتاح عاشور: العصر المماليكي، ص٢٩٨، ٣٠٨.

(٣) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ١، ص٣٠٣، السخاوي: وجيز الكلام، مجلد١، ص٢٧٢.

كما كان لتوقف النيل عن الزيادة سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م أثره في معاناة أهل مصر من الغلاء[١]، خاصة في أسعار الحبوب والسلع الغذائية، مما دفع الناس إلى شراء الغلال وتخزينها، والتكالب على الأفران للحصول على الخبز، مما زاد من الأزمة[٢]، التي امتدت إلى عام ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م حيث ارتفعت الأسعار بشكل كبير، فبلغ سعر إردب القمح سبعين درهم، والشعير والفول أربعين درهم، وحمل التبن حوالي عشرة دراهم ورطل[٣] السكر بستة دراهم، ورطل اللحم البقري بدرهم، أما رطل الضأن فبدرهم ونصف[٤]، وتوقفت "أحوال الناس من قلة المكاسب"[٥].

واستمر الأمر حتى سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م لقلة وجود الغلال[٦]، وبيع إردب القمح بمائة وخمسة وسبعين درهمًا، والبطة الدقيق بأربعة وأربعين درهمًا[٧]، وعن استمرار الغلاء قال المقريزي[٨]، "هذه عادة بلاد مصر من الزمن القديم إذا تأخر جرى النيل بها أن يمتد الغلاء سنتين"

---

(١) المقريزي: السلوك، جـ٥، ص٣٥٩، ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ١، ص٤٧٦.

(٢) عيسى محمود عسود العزام: أسعار الحبوب، ص٢، ٣.

(٣) الرطل يساوي ١٢ أوقية أي حوالي ٤٥٠ جرامًا: انظر فالترهنتس: المكاييل والأوزان، ص٣٢.

(٤) المقريزي: السلوك، جـ٥، ص٣٦٦، الصيرفي: نزهة النفوس، جـ١، ص٣٩١، ٣٩٩.

(٥) المقريزي: السلوك، جـ٥، ص٣٦٧.

(٦) المقريزي: السلوك، جـ٥، ص٣٨٥، الصيرفي: نزهة النفوس، جـ١، ص٤٢٧.

(٧) المقريزي: السلوك، جـ٥، ص٣٨٥.

(٨) إغاثة الأمة، ص١١٥.

وهكذا فإن انخفاض فيضان النيل في سنة يسبب أزمات تمتد إلى سنوات تالية؛ حيث تقل المحاصيل وتزيد أسعارها، فتتأثر حركة البيع والشراء بالأسواق وتكسد التجارة.

وفي سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م اشتد معاناة الناس من ارتفاع أسعار الغلال(١)؛ لأن هبوط النيل يقلل حركة الملاحة في النهر فتتوقف مراكب الغلال القادمة من الوجه القبلي إلى القاهرة، مما يؤثر في توافر الغلال بالأسواق ويزيد من أسعارها (٢) ، فبلغ إردب القمح أربعمائة درهم درهم ، والفول مائتين وخمسين درهمًا(٣) ، واختفى الشعير من الأسواق ، ووصل حمل التبن إلى خمسين درهمًا(٤)، وترتب على ذلك ارتفاع أسعار اللحوم فبلغ "الرطل اللحم البقري ثلاثة دراهم، والرطل اللحم الضاني إلى خمسة دراهم، وقلت الأغنام ونحوها، فأبيع عشر دجاجات سمان بألف وخمسين درهمًا"(٥)، و"سرى ذلك في كل ما يباع من مأكول ومشروب وملبوس"(٦).

وكان لتراجع فيضان النيل سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م أثره في زيادة

(١) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ٢، ص١٨٠، رأفت محمد النبراوي: أسعار السلع، ص١٦٦.

(٢) قاسم عبده قاسم: أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك، ط القاهرة ١٩٧٨م، ١٩٧٨م، ص٦٧.

(٣) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص١٠٤، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ق٣، ص٦٨٧.

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١ ق٣، ص٦٨٣.

(٥) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص١٠٦.

(٦) المقريزي: إغاثة الأمة، ص١١٦.

أسعار الغلال فبلغ سعر إردب القمح مائتين وخمسين درهمًا، وقل وجود الخبز بالأسواق، كما وصل إردب الفول إلى ثلاثمائة درهم، وارتفع سعر البرسيم والتبن بشكل كبير(١)، مما يؤثر في الثروة الحيوانية والداجنة فترتفع أسعارها، وتقل منتجاتها بالأسواق، "وكثر كساد الأسواق وتوقف حال الناس، وقلت فوائدهم"(٢)، وتكرر انخفاض الفيضان سنة ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م فتزايدت أسعار الغلال وبلغ سعر إردب القمح ثلاثمائة وخمسين درهمًا، والشعير مائتين وخمسين، والفول مائتين وعشرة(٣).

وفي عام ٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م أدى شرق غالب الأراضي بمصر إلى غلاء القمح حيث تجاوز سعر الإردب ثلاثمائة درهم(٤)، وفقد الخبز من الدكاكين المخصصة لبيعه "وضج الناس من ذلك" (٥) ، كما ارتفع سعر الفول والشعير فتأثرت الماشية، وقل إنتاج "الألبان والأجبان والسمن، وبلغت أثمانًا لم نعهد مثله"(٦).

وتسبب عدم وفاء النيل سنة ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م في غلاء المحاصيل الزراعية والبضائع(٧)، "وكل شيء تزايد سعره أضعاف ما كان كان عليه، وعدم وجود اللحم إلا بجهد"(٨).

---

(١) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ٢، ص٤٢٠.
(٢) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص٤٨٣.
(٣) المصدر نفسه، ص٥١٠، ٥١١.
(٤) المصدر نفسه جـ٧، ص١٣٠.
(٥) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص١٠٤.
(٦) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص١٣٠.
(٧) السخاوي: وجيز الكلام، مجلد٢، ص٦٣٣.
(٨) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، جـ١، ص٢٢١.

لا شك أن غلاء الأسعار بهذا الشكل أثر في أرباح التجار؛ حيث تركز الطلب على السلع الضرورية وبكميات محدودة.

واستمرت معاناة الناس من غلو الأسعار حتى عام ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م لعدم وفاء النيل أيضًا، فبيع إردب القمح بالأسواق بستمائة درهم، أما الشعير والفول فبلغ أربعمائة درهم، ووصل سعر الأرز إلى ألف وخمسمائة درهم(١)، و"اضطربت الأحوال، ورفع الخبز من الأسواق، ووقع القحط بين الناس"(٢).

وترتب على سرعة هبوط النيل سنة ٨٥٩هـ/ ١٤٥٥م شرق الأراضي فتأثرت الزراعة، وعز وجود الحطب بشدة حتى بيع الحمل منه بمائة وعشرين درهمًا، مما أضر بالناس(٣)، لاعتمادهم على الحطب في إعداد الطعام، وفي التدفئة.

وفي سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م تسبب انخفاض فيضان النيل في ارتفاع أسعار السلع الغذائية والقمح الذي بلغ سعره أكثر من ثمانمائة درهم(٤)، وكما يؤثر تراجع فيضان النيل على التجارة ينتج أيضًا عن شدة شدة الفيضان توقف الحركة بالأسواق، كما حدث سنة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م عندما تسبب فيضان النيل العالي في غرق الأراضي بصعيد مصر، وتضرر الطرق(٥)، حيث حال تقطع الطرق وغمرها بالمياه دون انتقال

(١) المصدر السابق، ص٢٨٥.
(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص٢٨٣.
(٣) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، جـ٢، ص٥٤٨.
(٤) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، جـ٣، ص٦٧٨، رأفت النبراوي: أسعار السلع، ص٢١٠، ٢١١.
(٥) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص١٣٤.

المتاجر والبضائع إلى أماكن بيعها، فشح وجودها بالأسواق مما ترتب عليه ارتفاع أسعارها.

وكذلك ترتب على قوة فيضان النيل سنة ٩٢١هـ/ ١٥١٥م خسائر للتجار، واضطراب أحوالهم بسبب غرق الطرق(١).

وبذلك كان لتذبذب فيضان النيل بين النقص أو الزيادة أثره في التجارة، ونقل البضائع والمحاصيل، وغلاء أسعارها، وقلة توافرها بالأسواق.

وكان للمناخ أيضًا تأثير في التجارة؛ حيث تتلف البضائع والمنتجات بفعل الأمطار والرياح والعواصف، كما تتقطع الطرق جراء السيول، مما يحول دون وصول البضائع إلى الأسواق فترتفع أسعارها.

ففي سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٣م تعرضت مدينة القاهرة للسيول نتيجة لسقوط الأمطار الغزيرة التي أغرقت الطرق حتى خاض الناس في مياه السيل(٢)، و"هدمت منه دور كثيرة"(٣)، كما أغرقت الأمطار الغزيرة الطرق سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م، واستمرت لعدة أيام "حتى صارت القاهرة خوضًا، فكان ذلك من العجائب"(٤).

لاشك أن غرق الطرق لعدة أيام أعاق حركة التجارة، وألحق أضرارًا كبيرة بالممتلكات، وحال دون استمرار عمل التجار والباعة بالأسواق مما أفقدهم مصادر دخلهم.

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٤، ص٤٧٥، ٤٧٨.
(٢) المقريزي: السلوك، جـ٥، ص٣٣٩، ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ١، ص٤٥٢.
(٣) الصيرفي: نزهة النفوس، جـ١، ص٣٦٤.
(٤) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ١، ص٥٢٧.

وكان لتساقط المطر والبَرَد على مدينة الغربية سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م أثره في تلف محاصيل أكثر من ثمانمائة فدان(١)، الأمر الذي أضر بالتجار لقلة الوارد من المحاصيل إلى الأسواق.

وكان لسقوط الأمطار على مصر سنة ٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م واستمرارها لمدة ثلاثة أيام متتالية أثره في تعذر الحركة والعمل "فتعطلت معايش غالب الناس"(٢)، كما توقفت أحوال الناس سنة ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م لغرق الطرق جراء الأمطار الغزيرة التي تعرضت لها مدينة القاهرة(٣).

كما تسببت الأمطار الغزيرة التي شهدتها مصر سنة ٨٦٨هـ/ ١٤٦٤م في غرق الأزقة والأسواق(٤)، وأيضًا سنة ٨٧٤هـ،/ ١٤٦٩م غطت مياه الأمطار الشوارع، حتى تعذرت الحركة بالأسواق(٥).

وفي سنة ٩١٦هـ/ ١٥١٠م سقطت أمطار غزيرة على مصر واستمرت عدة أيام "حتى أوحلت الأسواق، وحصل للناس وقوف حال من أجل ذلك، وتعطَّلت الأسباب عن البيع والشراء"(٦)، وهنا تحولت الأمطار الغزيرة المستمرة إلى سيول أضرت بالناس، وعطلت المعايش، فوقف حال التجار.

وكان للبرد الشديد والصقيع أثره في التجارة، ففي سنة

---

(١) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص٤٦٣، ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص١٥٨.
(٢) السخاوي: التبر المسبوك، جـ١، ص٢٦١.
(٣) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، جـ٢، ص٤٩٨.
(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ٤١٩، ٤٢٠.
(٥) الصيرفي: إنباء الهصر، ص١٥٢، ١٥٣.
(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٤، ص١٩٥.

٩١٤هـ/ ١٥٠٨م تسبب البرد الشديد الذي أصاب مصر في قلة محصول القمح، وارتفاع سعره[١]، كما ترتب على موجة البرد والصقيع التي اجتاحت مصر في شهر ذي الحجة سنة ٩١٧هـ/ فبراير ١٥١٢م تلف الزرع، وقلة المحاصيل، ووقوع الغلاء في أصناف الحبوب والخضر والبرسيم و"سائر البضائع من السكر والعسل والزيت والسمن والسيرج حتى الزيت الحار والزبيب والأرز"[٢].

وفي عام ٨٠٦هـ/ ١٤٠٤م هبت عواصف حارة على جميع أنحاء مصر أدت إلى غرق عدة سفن في نهر النيل والبحر، ووفاة عدد كبير من الناس[٣]، "وارتفعت أسعار عامة المبيعات"[٤].

وتعرضت مصر لرياح عاصفة سنة ٨٢٦هـ/ ١٤٢٣م "كانت سببًا في هيف الزرع بالوجه القبلي وغلا سعر القمح"[٥]، كما هبت عواصف شديدة سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م، ودامت أكثر من عشرة أيام، مما أعاق حركة المراكب بالنيل، مما أثر في توافر الغلال بالقاهرة فارتفعت أسعارها[٦].

وفي عام ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م تسببت الرياح أيضًا في تعطل حركة الملاحة بالنهر، ومنعت وصول مراكب الغلال إلى الوجه البحري في

---

(١) نفس المصدر: ص ١٥٠.
(٢) نفسه: ص ٢٥٣.
(٣) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص١٠٦، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١ ق٣، ص٦٨٩.
(٤) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص١٠٦.
(٥) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص٣٠٢.
(٦) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص١٣٠، ١٣١.

الوقت المناسب، فأثر ذلك في حركة التجارة الداخلية(١)، وارتفعت الأسعار "وعز وجود الخبز بالأسواق أيامًا"(٢)، كما نتج عن الرياح الحارة التي هبت على مصر سنة ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م قلة إنتاج الحبوب، وارتفاع أسعارها مثل القمح والشعير(٣).

وفي سنة ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م هبت رياح شديدة على مدينة دمياط وصاحبها حدوث صواعق أدت إلى إحراق الكثير من البضائع(٤)، كما تسببت العواصف التي أصابت القاهرة سنة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م في غرق بعض المراكب بالنيل(٥).

وقد تعرضت مصر لرياح عاصفة سنة ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م فاض منها البحر فأغرق عددًا من البساتين بدمياط، إلى جانب بعض المراكب بحمولتها، ولحق الناس الكثير من الضرر(٦)، وهبت على مدينة القاهرة عاصفة شديدة في شهر صفر سنة ٩١٧هـ/ مايو١٥١١م صاحبها نشوب حريق بالمدينة؛ مما أدى إلى احتراق كميات كبيرة من الأقمشة والبضائع(٧)، والبضائع(٧)، وذلك راجع إلى نشاط الرياح التي ساهمت في سرعة انتشار النيران، وصعوبة إخمادها.

---

(١) قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع، ص٨٣.
(٢) ابن حجر: إنباء الغمر، جـ٣، ص٣٩٩.
(٣) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص١٩٣، الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٣، ص١٦٠.
(٤) نفس المصدر، ص٢٧٥، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، جـ٧، ص٢١٧.
(٥) السخاوي: وجيز الكلام، مجلد٣، ص٩٣٠.
(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٤، ص٦٠.
(٧) المصدر نفسه، ص٢١٧.

وبذلك يتضح أن عناصر المناخ لها تأثير كبير على حركة التجارة والأسواق، كما تلحق الكثير من الخسائر بالمتاجر والممتلكات، مما يسهم في ارتفاع الأسعار.

وكان للآفات الزراعية أيضًا تأثير كبير على التجارة؛ حيث تسببت في تدهور الإنتاج الزراعي، وقلة المحاصيل، وكان لذلك أثره في غلاء السلع والبضائع المختلفة، وقلة المعروض منها بالأسواق.

ففي سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م انخفض إنتاج الغلال، وارتفعت أسعارها؛ نتيجة لإتلاف الفئران للمحاصيل، فاشتد الأمر على الناس(١)، كما هاجمت قطعان الفئران شون الغلال سنة ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م مما أدى إلى ارتفاع أسعارها(٢)، فبلغ إردب الشعير مائة وخمسة وعشرين درهمًا، والفول مائة وستين درهمًا، وكذلك القمح(٣)، وأيضًا ارتفعت أسعار الغلال سنة ٩١٧هـ/ ١٥١١م نتيجة لإتلاف الفئران لمحصول القمح والشعير(٤).

كما قضى الدود على بعض المحاصيل الزراعية سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م مثل الفول والقمح والبرسيم، فعز وجودها وارتفعت أسعارها(٥)، أسعارها(٥)، وأيضًا أتلف الدود سنة ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م أكثر المحاصيل،

(١) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص٣٩٥، ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص٧٠.
(٢) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص١٧٦، ابن شاهين: نيل الأمل، جـ١، ق٤، ٢٢٨.
(٣) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص١٧٦.
(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٤، ص٢١٧.
(٥) الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٢، ص٤٢٠، ابن شاهين: نيل الأمل، جـ١، ق٤، ق٤، ص٤٨.

خاصة بالوجه القبلي، مما تسبب في ارتفاع أسعار البرسيم والغلال(١).

ويُعد الدود من أكثر المشاكل التي تواجه محصول البرسيم، ففي سنة ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م ارتفعت أسعار البرسيم لأكل الدود لأكثر المحصول(٢)، وكذلك سنة ٨٤٣هـ ١٤٣٩م مما تسبب في زيادة سعر التبن والفول والشعير "فارتفعت أسعار كثير من المأكولات، وقل وجود الأجبان والألبان والسمن واللحم"(٣)، وسنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م هاجم الدود محصول البرسيم مما أدى لارتفاع أسعاره(٤)، كما أتلف الدود محصول البرسيم سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٥م(٥)، ولا شك أن ارتفاع أسعار البرسيم تؤدي إلى غلاء أغلب السلع والمنتجات لاعتماد الفلاح عليه في إطعام الماشية.

ويعتبر الجراد من أخطر الآفات الزراعية؛ لأنه يأكل جميع النباتات الخضراء فتقل المحاصيل، ولا يجد الناس ما يسد احتياجاتهم، مما يترتب عليه ندرة السلع والمنتجات وارتفاع أسعارها(٦).

وقد تعرضت مصر لهجمات أسراب الجراد سنة ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م فأتلف بعض المحاصيل الزراعية؛ لأن الرياح أعاقت تحركه،

(١) الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٢، ٤٥٣.
(٢) نفس المصدر.
(٣) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص٤٤٣.
(٤) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، جـ٢، ص٣٣٨.
(٥) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص٢٢٤.
(٦) رأفت النبراوي: أسعار السلع، ص٣١، ٣٢.

وهذا من لطف الله سبحانه وتعالى بالعباد[١]، كما تسبب الجراد سنة ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م في تلف المزروعات[٢]. ونخلص مما سبق أن الآفات الزراعية تهلك المحاصيل، فيقل توافرها بالأسواق، وترتفع أسعارها فيؤثر ذلك في حركة التجارة.

وتعد الأوبئة والطواعين من أهم الكوارث الطبيعية ذات التأثير المباشر في التجارة؛ لأن كثرة هلاك الفلاحين، والصنَّاع، والحرفيين بفعل الأمراض يؤدي إلى قلة المحاصيل، وعدم توافر السلع، فيزداد الطلب عليها، ومن ثم ترتفع أسعارها، كما تتعطل حركة الأسواق لهلاك الكثير من التجار والباعة بهذه الأوبئة.

ففي سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م تزايد سعر الفاكهة وعز وجود البطيخ بمصر بسبب كثرة المرضى بالطاعون[٣]، حتى بلغ سعر البطيخة الواحدة خمسة دراهم، ورطل الكمثرى بلغ عشرة دراهم[٤].

وتأثرت الحياة الاقتصادية بمصر سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م لكثرة من مات بالطاعون، فاضطربت الأسواق وارتفعت أسعار أغلب السلع[٥] لقلة المعروض منها خاصة القماش، فبِيع مقطع الكتان بخمسة وعشرين درهمًا بدلاً من درهمين، وبيع الثوب من الحرير بثلاثة آلاف درهم أو أكثر بدلاً من ثلاثمائة، وأيضًا قدر الثوب البعلبكي بألف درهم بعد أن كان

(١) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص١٤٧، ابن شاهين: نيل الأمل، جـ١، ق٤، ص٢١٠.
(٢) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص٤٤١.
(٣) ابن الفرات: تاريخه، مجلد٩، جـ١، ص٢٧.
(٤) الصيرفي: نزهة النفوس، جـ١، ص١٧٠.
(٥) فتحي سالم: وباء الطاعون، ص٤٦٠.

بسبعين[١]، وعز وجود البطيخ الصيفي[٢] لزيادة الطلب عليه – حيث تشتد حاجة المرضى له – "حتى بيعت واحدة بخمسمائة درهم"[٣]، كما عز الرمان والسكر النبات "حتى بلغا أربعة أمثال سعرهما"[٤].

وفي سنة ٨١٩هـ/ ١٤١٦م صاحب تفشي الطاعون بمصر ارتفاع أسعار معظم السلع بشكل كبير[٥]، خاصة الغلال، فبلغ سعر إردب القمح ثمانمائة درهم[٦]، كما بيعت البطة الدقيق[٧] بمائتين وخمسين درهمًا[٨] فاجتمع على الناس الجوع والمرض، مما زاد من معاناتهم.

ومع تزايد أعداد الوفيات نتيجة للإصابات بالطاعون سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م "تعطَّلت أحوال الناس عن البيع والشرى، وغلقت الدكاكين"[٩].

ويتضح من العبارة السابقة أن الطاعون كان السبب الرئيسي في توقف معايش الناس، وتركهم للتجارة والعمل بالأسواق، إما لانشغالهم بمرضاهم وموتاهم، أو لهلاكهم في هذا الوباء.

كما ارتفعت أسعار الثياب والأقمشة خاصة التي يكفن فيها الموتى

---

(١) الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٢، ص٣٢٦.
(٢) السخاوي: وجيز الكلام، مجلد٢، ٤٢٥.
(٣) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص٨.
(٤) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص٣٥٤.
(٥) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، مجلد٩، ص١٩٨.
(٦) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص٨٥.
(٧) البطة الدقيق مكيال مصري يساوي وزن ٥٠ رطلاً أي ما يوازي ١٧.٥ كيلوجرام دقيق: انظر ڤالترهنتس: المكاييل والأوزان، ص٣٢.
(٨) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص٤٠٦، العيني: السيف المهند، ص٣٤٥.
(٩) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص١٢٩.

لزيادة الطلب عليها، وغلت جميع السلع والأدوية التي يحتاج إليها المرضى مثل الكمثرى، وبذر الرجلة[١]، والسكر الذي عز وجوده[٢].

وفي عام ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م تسبب انتشار الطاعون بمصر في توقف حال التجار[٣]، كما أغلق عدد من الأسواق مثل سوق الرقيق الذي الذي ذكر المقريزي[٤] تعطله لكثرة موتاهم، وبذلك كسدت التجارة، وتلاشت الأرباح، وحصل للتجار الكثير من الضرر[٥] ، عدا المشتغلين " ببيع الأكفان وما لابد للموتى منه، كالقطن ونحوه"[٦].

ونتج عن طاعون سنة ٨٦٤هـ/ ١٤٦٠م الكثير من الوفيات، وتأثرت أحوال الناس ومعايشهم [٧] ، وعمَّ الغلاء كل شيء فوصل سعر إردب القمح إلى ستمائة درهم، والبطة الدقيق بمائة وسبعين درهمًا، وأصبح رطل الخبز بأربعة دراهم، ويندر في أغلب الأوقات وجوده بالدكاكين، كما ارتفع سعر الفول والشعير وبلغ الإردب لكل منهما أربعمائة درهم، وبيع حمل التبن أيضًا بأربعمائة درهم[٨]، وكان لارتفاع

(١) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص٢٠٦، ابن تغري بردي: النجوم، جـ١٤، ص٣٤٠.
(٢) الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٣، ص١٨٥.
(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص١٨٢.
(٤) السلوك، جـ٧، ص٣٥٩.
(٥) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص٣٥٠.
(٦) نفس المصدر: ص٣٥٦.
(٧) ابن شاهين: نيل الأمل، جـ٢، ق٦ ص٨٠، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص٣٥٩.
(٨) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٦، ص١٤٢.

أسعار الشعير والفول والتبن تأثير كبير على المواشي فقل إنتاجها(١).

وفي عام ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م عدمت النعوش لكثرة من مات بالطاعون، وارتفعت أسعار الأكفان وكل ما يلزم لتجهيز الموتى للدفن(٢)، للدفن(٢)، وعندما زاد أمر الطاعون بمصر سنة ٩١٠هـ/ ١٥٠٥م ارتفعت أسعار جميع السلع والفاكهة، وعز وجودها خاصة التي يحتاج إليها المرضى مثل السكر النبات، والرمان، والبطيخ الصيفي(٣).

وترتب على كثرة الإصابة بالأمراض والحميات بمصر سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م ارتفاع بأعداد الوفيات "مع توقف الأحوال، وتعطل المعايش، وتزايد الأسعار في كل ما يُباع"(٤) خاصة تجارة الأدوية التي زاد الطلب عليها سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م، لكثرة الأمراض الحادة التي عمَّت مصر، فبلغ القدح الواحد من بذر الرجلة ثمانين درهمًا، وبلغ القنطار من الشيرخشك(٥)، ثلاثين ألف درهم بعد ألف وأربعمائة، والقنطار الترنجبين(٦)بلغ خمسة عشر ألف درهم بعد أربعمائة(١).

---

(١) محمد عبدالنعيم: أزمة اللحوم، ص٢٢.

(٢) السخاوي: وجيز الكلام، مجلد٣، ص١٢٣٩.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٤، ص٧٦.

(٤) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص١٩، ٢٠

(٥) الشيرخشك نوع من المن، والمن كل طل ينزل من السماء على شجر أو حجر ينعقد عسلاً ويجف جفاف الصمغ فيصبح حلوى ينفع للسعال والصدر والرئة، انظر ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ط القاهرة ١٢٩١هـ، جـ٣، ص٥٧.

(٦) الترنجبين معرب عن الفارسية ومعناه "عسل الندى" وهو طل يسقط على الأشجار ويجمع كالمن، وأجود أنواعه الأبيض النقي الحلو، وينفع من السعال =

وكان لانتشار الأمراض الحادة سنة ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م أثرها في غلاء أسعار السلع والحبوب فبلغ سعر أردب القمح ألف درهم والفول والشعير ستمائة درهم مع قلة توافره، كما تأثرت أسعار الدقيق فوصلت البطة الدقيق ثلاثمائة درهم(٢)، كما تسببت الأمراض الحادة التي أصابت مصر سنة ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م في غلاء البطيخ الصيفي حتى بلغ سعر البطيخة الواحدة أكثر من دينارين(٣).

وهكذا كان لانتشار الأوبئة والطواعين آثار كبيرة على التجارة والأسواق، وعلى رواج السلع أو كسادها، كما دفعت البعض إلى ترك مهنهم والبحث عن أنشطة تجارية أخرى يزيد الطلب عليها، وتحقق لصاحبها مكاسب كبيرة.

ونخلص في نهاية هذا المبحث أن للكوارث الطبيعية تأثيرًا واضحًا في الحياة الاقتصادية بمصر عصر المماليك الجراكسة، سواء في قلة الإنتاج الزراعي وقصوره عن سد حاجة الناس، أو في انخفاض الإنتاج الصناعي، وتقلص الكثير من الصناعات، كما كان لكل ما سبق انعكاس كبير على التجارة.

=

وأوجاع الصدر والغثيان، انظر داود الأنطاكي: تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب، ط بيروت د.ت، جـ١، ص٩١.

(١) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص١٢٤، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ق٣، ص٧١٢، ٧١٣.

(٢) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، جـ١، ص٢٩٢، ٢٩٣.

(٣) البقاعي: إظهار العصر، ق١، ص٢١٠.

ثانياً: الآثار الاجتماعية للكوارث الطبيعية:

كان للكوارث الطبيعية آثار بعيدة على الحياة الاجتماعية بمصر في عصر المماليك الجراكسة، حيث أحدثت تخلخلًا في الكثافة والتركيبة السكانية بين القرى والمدن، كما غيرت في سلوكيات بعض الناس وأخلاقهم، فزادت السلوكيات السلبية، ومع ذلك كان للكوارث والأزمات تأثير آخر في اتجاه الكثير من الناس للتقرب إلى الله، وطلب العون منه.

تخلخل الكثافة والتركيبة السكانية:

تعرضت مصر لتخلخل في الكثافة السكانية بسبب الكوارث الطبيعية، مثل تذبذب فيضان النيل بين النقص الشديد أو الزيادة المفرطة، والذي يصاحبه مجاعات وقحط، وينتج عنه كثرة في الوفيات، حيث تباد قرى بأكملها، مما يدفع الناس للهجرة، أو الفرار من القرى والبلدان إلى المدن مثل القاهرة بحثًا عن فرصة عمل، أو للحصول على بعض أموال الصدقات التي توزع هناك، مما كان له أثره في تخلخل توزيع السكان من منطقة لأخرى. ومن ذلك ما حدث سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م عندما زاد نهر النيل زيادة كبيرة فأغرق العديد من الأماكن(١)، وتسبب في اندثار بعض القرى، وهجرة أهلها إلى أماكن أخرى(٢).

كذلك توافد الفقراء على القاهرة سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م – بسبب تفشي المجاعة للحصول على الطعام والخبز الذي يفرقه السلطان

(١) المقريزي: السلوك، جـ٥، ص١٥٤.
(٢) مجدي عبدالرشيد بحر: القرية المصرية، ص٢٠٣.

على الناس[١]، "ومن لم يجد طعامًا ولا حصل له منه شيء يعطي درهمًا ونصف"[٢]، لذلك كانت تزدحم القاهرة بالمهاجرين من القرى خلال هذه الأزمات[٣].

وفي عام ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م عانت مصر من المجاعة بسبب نقص فيضان النيل "وفني معظم أهلها"[٤]، خاصة بلاد الصعيد فقدر "من مات بمدينة قوص، فبلغوا سبعة عشر ألف إنسان، ومن مات بمدينة سيوط، فبلغوا أحد عشر ألفًا، ومن مات بمدينة هُو[٥]، فبلغوا خمسة عشر ألفًا، وذلك سوى الطرحاء ومن لا يُعرف"[٦]. مما غير في الكثافة السكانية بالكثير من القرى والبلاد لارتفاع أعداد الوفيات.

وعندما غرقت الأراضي الزراعية سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م وتعذرت الزراعة عانى أهل مصر من المجاعة خاصةً بلاد الصعيد "فإن أهلها بادوا موتًا بالجوع والبرد وباعوا أولادهم بأبخس الأثمان، فاسترق منهم بالقاهرة خلائق ونقل الناس منهم إلى البلاد الشامية ما لا يُعد، فبيعوا في أقطار الأرض كما يُباع السبي"[٧]، وخربت الكثير من القرى[٨].

---

(١) المقريزي: السلوك، جـ٥، ص٣٨٤، ٣٨٥، الأمين محمد عوضي: أسواق القاهرة، ص١٢٢.

(٢) الصيرفي: نزهة النفوس، جـ١، ص٤٢٦.

(٣) المقريزي: إغاثة الأمة، ص٣٣ -٣٥.

(٤) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص١٠٧.

(٥) بليدة قديمة على تل بالصعيد بالجانب الغربي: انظر ياقوت: معجم البلدان، جـ٥، ص٤٨٢.

(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ق٣، ص٦٨٩، ٦٩٠.

(٧) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص١١٣، ١١٤.

القرى[١].

وقد ترتب على نقص فيضان النيل في سنتي (٨٥٣-٨٥٤هـ/١٤٤٩-١٤٥٠م) خراب إقليم مصر، حيث خلت قرى من أهلها لكثرة من مات منهم أو فر إلى القاهرة[٢]ـ التي زادت بها أعداد الوفيات سنة ٨٥٥هـ/١٤٥١م بسبب شدة القحط والجوع[٣]، حتى قاربت على الخراب "ونزح عنها خلائق من أهلها لا تدخل تحت الحصر إلى البلاد الشامية"[٤].

وفي سنة ٨٦٦هـ/١٤٦٢م توقف النيل عن الزيادة فاضطربت أحوال الديار المصرية[٥]، وترك معظم الناس الريف واتجهوا بأسرهم إلى إلى القاهرة[٦]، فكان هذا أشبه بهجرة داخلية بحثًا عن سبل للعيش وكسب الرزق، أو الحصول على ما يسد رمقهم من المساعدات.

وتكرر انخفاض فيضان النيل سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٥م فعانت مصر من الجفاف والمجاعة[٧] ، التي استمرت حتى عام ٨٩٢هـ/ ١٤٨٦م ، وهلك بسببها ما لا يحصى[٨].

---

(١) عيسى محمود العزام: أسعار الحبوب، ص١٩.

(٢) مجدي عبدالرشيد بحر: القرية المصرية، ص٢٠١.

(٣) السخاوي: التبر المسبوك، ط القاهرة د.ت، ص٣٤٦، ٣٤٧.

(٤) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، جـ٢، ص٣٢٧.

(٥) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، جـ٣، ص٤٢٩.

(٦) رأفت النبراوي: أسعار السلع الغذائية، ص٢٠٦.

(٧) ابن شاهين: نيل الأمل، جـ٢، ق٨، ص٥٦، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص٢٢٤.

(٨) نفس المصدر، ص٢٣٨.

وهكذا فإن الأزمات المائية تؤدي إلى موت الكثير من الناس أو تشردهم بعيدًا عن بلادهم وقراهم(١)، مما يحدث تغيرًا في توزيع السكان، فخربت بلاد، وخلت قرى من أهلها مقابل ازدحام مناطق أخرى بالسكان.

وتعتبر الأوبئة والطواعين من الكوارث الطبيعية التي أثرت في الكثافة السكانية بمصر، حيث يهلك بها أعداد ضخمة من الناس، لذلك يسارع أهل البلد التي يظهر بها الطاعون بالفرار منها والاتجاه إلى أماكن أخرى غير موبوءة، كما أثرت الأوبئة والطواعين في التركيبة السكانية، فزادت نسبة الذكور مقارنة بالنساء لكثرة وفيات النساء والجواري، كما ارتفعت نسبة كبار السن لكثرة الوفيات في الأطفال.

فنجد في سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م أصاب الفناء مدينتي الشرقية والغربية بسبب انتشار الوباء(٢)، وأغلب أقاليم مصر "خليت من سكانها وأغلقت دور كثيرة"(٣)، كما فتك الطاعون ببلاد الصعيد سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م(٤)، وقدر من مات بمدينة أسيوط حوالي عشرة آلاف، أما مدينة بوتيج (٥) فالضحايا أكثر حيث بلغوا ثلاثة آلاف وخمسمائة شخص (٦) ، مما أدى إلى حدوث تغيرات كبيرة في توزيع السكان بمدن الصعيد.

---

(١) مفيد الزيدي: العصر المملوكي، ط الأردن ٢٠٠٣م، ص٢٣٤.

(٢) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٢، ص٨.

(٣) الصيرفي: نزهة النفوس، جـ١، ص٤٧٢.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، حـ١٣، ص٥٢.

(٥) بليدة بالصعيد الأدنى غربي نهر النيل ، تتميز بكثرة النخيل والأشجار : انظر ياقوت: معجم البلدان، جـ١، ص٦٠٠.

(٦) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص١٦٠، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ق٣، ص٧٥١.

وخلف طاعون سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٧م أعداد ضخمة من الوفيات، قدرت بأكثر من ألف وخمسمائة نفس يوميًّا معظمهم من الشباب والنساء(١)، مما أثر في التركيبة السكانية.

كما كانت أكثر الإصابات بالطاعون سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م من الأطفال(٢)، ما أعاق النمو السكاني؛ حيث قلت الفئة العمرية للشباب، وقد استمر الوباء حتى سنة ٨١٧هـ/ ١٤١٤م، ومات به أغلب أهل البهنسا(٣).

وقد نتج عن طاعون سنة ٨١٩هـ/ ١٤١٦م تخلخل في الكثافة السكانية بمدينة القاهرة منذ منتصف شهر ربيع الأول/ أبريل، حيث بلغت أعداد الوفيات ألف شخص يوميًا(٤)، وكثرت الإصابات بالوجه البحري، وبلاد الصعيد(٥) "حتى قيل إن أكثر أهل هُو هلكوا"(٦)، ولم يكن طاعون سنة ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م بنفس قوة سابقه حيث تركزت أكثر الوفيات بمدينتي الإسكندرية ودمياط(٧)، أي تأثرت الكثافة السكانية بهاتين المدينتين فقط دون سواهما.

---

(١) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص١٨٢، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ق٣، ص٧٧٠.

(٢) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص٨.

(٣) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص٣٩.

(٤) نفس المصدر، ص٨٧.

(٥) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص٤٠٨، السيوطي: حسن المحاضرة، جـ٢، ص٢٧١.

(٦) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص٨٧.

(٧) المقريزي: السلوك، حـ٦، ص٤٣١، ابن شاهين: نيل الأمل، جـ٣، ص٣٢٣.

وكان لطاعون سنة ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م تأثيره في الكثافة والتركيبة السكانية معًا. وقد ذكر المقريزي[١]، إحصائية مفصلة بعدد الوفيات بالقاهرة في مدة سبعين يومًا فبلغت "سبعة آلاف وستمائة واثنين وخمسين: الرجال ألف وخمسة وستون رجلاً، والنساء ستمائة وتسعة وستون امرأة، والصغار ثلاثة آلاف وتسعمائة، وتسعة وستون صغيرًا، والعبيد خمسمائة وأربعة وأربعون، والإماء ألف وثلاثمائة وتسع وستون، والنصارى تسعة وستون، واليهود اثنان وثلاثون"، ومن خلال هذه الإحصائية يتضح أن أكثر الوفيات كانت في الأطفال.

وقد تزايد الوفيات في هذا العام بالمدن الأخرى بمصر، فقدر من مات في شهر ربيع الأول/ مارس بمدينة بلبيس ألف إنسان وفي بردين[٢] خمسمائة إنسان، وبديروط[٣] ثلاثة آلاف إنسان[٤].

وفي عام ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م مات بالطاعون الكثير من سكان الوجه البحري، فعلى سبيل المثال "مات بالمحلة خمسة آلاف نفس، وبالنحرارية تسعة آلاف، ومات في الإسكندرية في كل يوم مائة وخمسون"[٥]، وارتفعت أعداد الوفيات بالقاهرة حتى خلت أكثر الدور من

(١) السلوك، جـ٦، ص٤٩٩.

(٢) قرية قديمة من أعمال الشرقية: انظر محمد رمزي: القاموس الجغرافي، ق١، جـ٢، ص٨٤.

(٣) من أعمال مدينة الإسكندرية: انظر ابن الجيعان: التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، المطبعة الأهلية القاهرة ١٨٩٨م، ص١٣٨.

(٤) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص٤٩٥.

(٥) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص٤٣٧.

سكانها[١]، و"بلغ عدة من صلى عليه من الأموات بمصلى باب النصر في يوم الأحد عاشر جُمادى الآخرة خمسمائة وخمسة، وقد أقام هناك جماعة بأدوية وأقلام لضبط ذلك"[٢]، حيث كان يتم إحصاء أعداد الوفيات بأثر الكوارث خاصة عند انتشار الأوبئة والطواعين.

وقد وصف المقريزي[٣] مشهد خروج الأموات من مصليات القاهرة فقال: "وترى نعوش الأموات في الشوارع كأنها قطارات الجمال لكثرتها، والمرور بها متواصلة بعضها في أثر بعض، فكان هذا من الأهوال التي أدركناها"، ولم تقتصر الإصابة بهذا الطاعون على المدن فقط، بل امتدت إلى القرى وفشا الموت فيها[٤]، مما اضطر البعض إلى ترك قراهم والنزح إلى أماكن أخرى خشية الإصابة [٥].

وبلغ من شدة طاعون سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٨م أنه عمَّ أغلب الدور بمصر وبلغت أعداد الوفيات أكثر من مائة ألف شخص[٦]، معظمهم معظمهم من الأطفال والعبيد والإماء[٧]. لذلك أثرت كثرة الوفيات بالطاعون في عدد السكان بمصر في هذا العام خاصة في الفئات الضعيفة والقليلة المقاومة للأمراض.

---

(١) الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٣، ص١٩٢.
(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٤، ٣٤١.
(٣) السلوك، جـ٧، ص٢٠٧.
(٤) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص٢٠٦.
(٥) فتحي سالم حميدي: وباء الطاعون، ص٤٦٨.
(٦) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص٣٥٩.
(٧) السيوطي: حسن المحاضرة، جـ٢، ص٣٠٩، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، جـ٢، ص١٨١.

وتسبب طاعون سنة ٨٥٣هـ/ ١٤٥٠م في وفاة الكثير بمدينة القاهرة خاصة في شهر صفر، مارس[١] "وكانت عدة من يموت فيه كل يوم زيادة على الألف"[٢]، وأكثر الإصابات وقعت في الأطفال والمماليك والجواري والعبيد[٣]، كما انتشرت بضواحي القاهرة، وزادت أعداد الوفيات به[٤].

وفي عام ٨٦٤هـ/ ١٤٦٠م فتك الطَّاعون بغالب سكان بعض القرى[٥]، فأثر ذلك في الكثافة السكَّانية بهذه القرى، كما أصاب الطاعون الطاعون مدينة القاهرة وضواحيها[٦]، ونتيجة لكثرة الوفيات كانت توضع توضع النعوش بعضها فوق بعض في المصليات[٧]، ومات في هذا الطاعون الكثير من الأطفال والجواري والعبيد [٨] ، فغير ذلك في التركيبة التركيبة السكانية بالقاهرة لوقوع أكثر الوفيات في فئات معينة دون غيرها.

كما عانت مصر من الطاعون سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م[٩]، واشتدت الإصابة به، وزاد عدد ضحاياه حتى بلغوا ما بين أربعة آلاف

(١) ابن شاهين: نيل الأمل، جـ٢، ق٥، ص٢٧٧، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ٢٧٢.
(٢) السخاوي: التبر المسبوك، ص٢٥٤.
(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص٢٧٢.
(٤) فتحي سالم حميدي: وباء الطاعون، ص٤٦٤.
(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٦، ص١٣٨.
(٦) ابن شاهين: نيل الأمل، جـ٢، ق٦، ص٧٥.
(٧) نفس المصدر، ص٨٠، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص٣٥٩.
(٨) نفس المصدر، ص٣٥٨.
(٩) السخاوي: وجيز الكلام، مجلد٢، ص٧٩٩.

وخمسة آلاف نسمة يوميًّا[١]، أكثرهم من الأطفال والمماليك والجواري والعبيد[٢].

ويعتبر طاعون سنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م من أشد الطواعين التي مُنيت بها مصر، وانتشر أولاً بمدن الوجه البحري وقراها[٣]، و"صار يجرف الناس جرفا"[٤]، وأكثر الوفيات كانت في الأطفال والخدم[٥]، مما أثر في التركيبة السكانية بمصر، كما امتد الوباء إلى بلاد الصعيد، ومات فيه أكثر سكان القرى[٦]، فأحدث ذلك تخلخلًا في الكثافة السكانية بقري الصعيد.

ومن أشهر الطواعين التي ضربت مدينة القاهرة طاعون سنة ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م الذي راح ضحيته أعداد ضخمة[٧]، كانت في البداية ما بين عشرين ألف وخمسة وعشرين ألف نسمة[٨]، ومع زوال الطاعون الطاعون عن القاهرة وصلت الوفيات حسب تقدير ابن إياس[٩] "نحو من مائتي ألف إنسان وزيادة"، لا شك أن أعداد هذه الوفيات أثرت في الكثافة السكانية بالقاهرة مقارنة بباقي المدن.

---

(١) فتحي سالم حميدي: وباء الطاعون، ص٤٦٥.
(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص٢٨.
(٣) السخاوي: وجيز الكلام، مجلد٣، ص٨٧١، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص١٢٢.
ص١٢٢.
(٤) ابن شاهين: نيل الأمل، جـ٢، ق٧، ص١٧٠.
(٥) نفس المصدر، ص١٦٩.
(٦) نفسه: ص١٧٣، ١٨٤.
(٧) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣،ص٢٨٩.
(٨) السخاوي: وجيز الكلام، مجلد٣، ص١٢٣٧.
(٩) بدائع الزهور، جـ٣، ص٢٨٩.

وتسبب الطاعون الذي أصاب مصر سنة ٩٠٣هـ/ ١٤٩٨م في هلاك أعداد كبيرة من الناس(١)، خاصة مع زيادة حدته، حيث بلغ عدد الجنازات يوميًّا حوالي ثمانمائة جنازة (٢) ، وبلغ العدد الإجمالي للوفيات جراء هذا الطاعون أكثر من مائتي ألف إنسان(٣).

كما زاد ضحايا الطاعون بمصر سنة ٩١٠هـ/ ١٥٠٥م فبلغت الوفيات أربعة الآلف نفس يوميًّا(٤)، و"فتك في الناس فتكًا ذريعًا وأفنى من المماليك والعبيد والجواري والأطفال والغرباء ما لا يحصى"(٥).

وكان يدفع انتشار الطاعون في مدينة ما إلى قيام بعض الأعيان والأمراء إلى الفرار منها إلى أماكن خالية من الوباء خوفًا من الإصابة، كما حدث سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م عندما فشا الطاعون بمدينة القاهرة، فقام بعض القضاة وأعيان الأمراء والناس بإرسال أطفالهم وزوجاتهم وخدمهم إلى منطقة جبل الطور(٦) لاعتقادهم بأنها لا يدخلها الطاعون(٧). الطاعون(٧). وهكذا نجد للكوارث الطبيعية تأثيرًا واضحًا في توزيع السكان من بلد لآخر ومن منطقة لأخرى، وتؤثر كذلك في نوعية السكان وفئاتهم العمرية.

---

(١) ابن الحُمصي، حوادث الزمان، جـ٢، ص٣٨-٤٢.
(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص٣٨٩.
(٣) نفس المصدر، ص٣٩١، ابن الحمصي: حوادث الزمان، جـ٢، ص٤٣.
(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٤، ص٧٦.
(٥) نفس المصدر: ص٧٩.
(٦) الطور في كلام العرب هو الجبل والمقصود به هنا الجبل الموجود في صحراء سيناء: انظر ياقوت: معجم البلدان، جـ٤، ص٥٣، ٥٤.
(٧) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٤، ص٢٩٧ – ٢٩٩.

تغير سلوكيات الناس:

كان للأوضاع الصعبة التي مرت بها مصر عقب الكوارث الطبيعية أثر واضح في تغير سلوكيات وأخلاقيات بعض الناس، فنجد منهم من يدَّعي الفقر حتى يحصل على الصدقات التي توزع بالقاهرة في أوقات المجاعات والأوبئة، ومن هؤلاء الحرافيش[١] الذين اتخذوا من التسول صنعه لهم، فيسألون الناس ويلحون في السؤال مع قدرتهم على العمل[٢]، وفي ذلك قال ابن تغري بردي[٣] "إن هؤلاء الجُعَيدية[٤] غالبهم غالبهم قوى سوى صاحب صنعة في يده، فيتركها ويشارك ذوي العاهات الذين لا "كسب لهم إلا السؤال ولولا ذلك لماتوا جوعًا".

وكان الحرافيش يزدحمون عند توزيع الصدقات وتكثر بينهم

---

(١) مفردها حرفوش وهو الجافي الغليظ المتهيئ للشر والقتال والمحرنفش المنقبض الغضبان: انظر ابن منظر: لسان العرب مجلد٢، ص٨٤٠. ومن معانيها الفقراء، والمتشردون والمتسولون، وهؤلاء كانوا غالبًا يقعون فريسة للأوبئة والمجاعات انظر ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص٩٧ حاشية (١)، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص١٠٣، وقد شكل المهاجرون من الفلاحين إلى المدن فئة من الحرافيش. انظر أحمد مختار العبادي: قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، ط دار النهضة العربية ١٩٨٦م، ص١٣٠، وكان للحرافيش زعيم أو سلطان يلتفون حوله وأوامره مسموعة ومطاعة لديهم. انظر محاسن محمد الوقاد: الطبقات الشعبية، ص١٦٤.

(٢) السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق على النجار وآخرين، ط ثانية القاهرة ١٩٩٣م، ص١٤٧، ١٤٨.

(٣) النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص٩٧.

(٤) هم طائفة من العامة تحترف التسول، وأصبح لقب الجعيدي مرادفًا للقب الفقير. انظر الشعراني: لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق "المعروف بالمنن الكبرى"، ط مصر١٩٠٣، ص٣٤.

المشاحنات والمنازعات والتي تنتهي بوفاة البعض منهم، كما حدث سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م، عندما ازدحم الفقراء على باب السلطان سيف الدين برقوق في فترة حكمة الثانية (٧٩٢ -٨٠١هـ/ ١٣٩٠-١٣٩٩م) فمات منهم سبعة وأربعون نفسًا(١)، وأيضًا في هذا العام ظهرت قلة المروءة من هؤلاء الشحاذين عندما فرق السلطان عليهم الخبز للتخفيف من أثر المجاعة فكانوا "يأخذون الخبز من عدة مواضع ويبيعونه، ثم يستجدون الناس أيضًا"(٢).

ومن خلال النص السابق نجد أن هؤلاء مدّعون للفقر؛ لأن أخذهم الخبز ليس لسد حاجتهم إلى الطعام، وإنما لبيعه والحصول على الأموال واكتنازها.

ومع انتشار الطاعون بمصر سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٨م حاول السلطان الأشراف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/ ١٤٢٢-١٤٣٧م)، تقديم يد العون للمنكوبين والمحتاجين، لكن طائفة الجعيدية اعتدوا على متولي توزيع الصدقات، لذلك غضب السلطان واستدعى شيخ الحرافيش وألزمه بمنع الجعيدية من الشحاذة، وأن يقوموا بالتكسب من عمل أيديهم، وأن من يخالف ذلك يتعرض للعقوبة(٣)، فامتنعوا عن التسول وخلت منهم

(١) الصيرفي: نزهة النفوس، جـ١، ص٤٢٦، حكم سيف الدين برقوق للمرة الأولى (٧٨٤-٧٩١هـ/ ١٣٨٢-١٣٨٩م).

(٢) المقريزي: السلوك، جـ٥، ص٣٨٤.

(٣) نفس المصدر، جـ٧، ص٣٥٣، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص٩٧، الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٣، ص٤٠٨.

الأسواق والطرقات(١)، وهرب بعضهم نحو بلاد الصعيد(٢).

وعانت مصر من المجاعة سنة ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م وتأثر حال كثير من الناس(٣)، وامتدت المجاعة إلى سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م و"انكشف فيه حال غالب الناس، وصار كثير من المستورين سائلا"(٤)، وزاد عدد الفقراء والمتسولين، واشتد إلحاحهم في طلب الصدقة حتى "إنه لا يكاد الشخص يمر في الطرقات إلا وهم في أثره، ويكررون له السؤال"(٥).

كما ظهر تأثير الكوارث الطبيعية في استغلال البعض – سواء كانوا من أصحاب النفوذ والسلطة، أو التجار والباعة – باحتكار السلع أو اللجوء إلى الغش والتدليس. ففي سنة ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م استغل تجار القمح انخفاض فيضان النيل فأكثروا من تخزين القمح طمعًا في زيادة أسعاره، وتحقيق أكبر قدر من الربح(٦)، لكن النيل زاد وأوفى(٧)، "فخاب ظنهم وما أملوه"(٨).

وقد انتهز التجار الجشعون شدة الأحوال التي كانت تعاني منها

(١) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص٣٥٣، الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٣، ص٤٠٨.
(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص١٨٤.
(٣) السخاوي: وجيز الكلام، مجلد٢، ص٦٤٧.
(٤) البقاعي: إظهار العصر، ق١، ص١٢٠.
(٥) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، جـ٢، ص٣١٨.
(٦) قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع، ص٥٩.
(٧) المقريزي: السلوك،جـ٥، ص١٩٩.
(٨) ابن الفرات: تاريخه، مجلد٩، جـ١، ص٩.

مصر سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م- من جفاف ومجاعة ووباء[١]، وقاموا بتخزين السلع، وإغلاق الشون والامتناع عن بيع القمح[٢]، وكان يلجأ الخبَّازون في بعض الأوقات إلى غش دقيق القمح بخلطة بأنواع رديئة من الدقيق[٣].

ومن ذلك ما حدث سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م عندما تعرضت المحاصيل لفتك الآفات الزراعية، فكان يضيف الخباز إلى دقيق القمح ما يعادل ثلثي الكمية من الحمص والشعير، وقد يعجن الخبز من دقيق الفول[٤]، وربما يرجع ذلك إلى نقص محصول القمح وارتفاع أسعاره بالمقارنة بالحبوب الأخرى.

وكان يقوم بعض الفرانين بإخراج الخبز قبل تمام نضجه لأنه يكون أثقل في الوزن[٥]، ومن ثم يحقق مكاسب أكبر، خاصة في أيام الأزمات.

وفي عام ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م قام التجار ورجال الدولة بتخزين الغلال طمعًا في ارتفاع أسعارها، خاصة مع نقص محصول الغِلال بالوجه القبلي هذا العام[٦]، وبلغ من جشع التجار سنة ٨٢٦هـ/ ١٤٢٣م قيامهم قيامهم بالإسراع في بيع الغلال بالوجه البحري بعد أن أصابها

(١) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص١٠٠-١٠٤.
(٢) رأفت محمد النبراوي: أسعار السلع، ص١٦٨.
(٣) ابن الحاج: المدخل، جـ٤، ص١٧٢، ١٧٣.
(٤) الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٢، ص٣٥٩.
(٥) ابن الحاج: المدخل، جـ٤، ص١٧٥.
(٦) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص٥٠٥.

السوس[١]، لأن همهم كان بالدرجة الأولى المكسب فقط دون النظر إلى مصلحة الناس وصحتهم.

وقد استغل خزان القمح الجفاف الذي عانت منه مصر، وقلة وجود القمح وامتنعوا عن البيع طمعًا في غلاء الأسعار. وعن جشع هؤلاء قال المقريزي [٢] : "أمسك خزان القمح ما عندهم منه ضنًّا به وأملوا أن يبيعوا البر بالدر".

وعندما زادت أعداد الوفيات بالطاعون سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م ارتفعت أسعار الأكفان بشكل كبير[٣]. لاشك أن بعض التجار المستغلين كانوا لا يتركون أي فرصة يمكن أن يجنوا من ورائها مكاسب إلا واستفادوا منها، لذلك كلما زاد الطلب على سلعة ما كلما غالى التجار والباعة في أثمانها، خاصة في أوقات الأزمات.

وكان لانخفاض فيضان النيل سنة ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م أثره في إقبال الناس على شراء القمح وخزنه[٤]، "إما للمؤنة وإما للتجارة"[٥].

وفي عام ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م قبض على جماعة من القصابين[٦]

---

(١) نفس المصدر، جـ٧، ص٧٥.

(٢) نفسه، ص١٣١.

(٣) نفس المصدر، ص٢٠٥، ٢٠٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٤، ص٣٤٠.

(٤) الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٣، ٢٧٣.

(٥) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص٥١١.

(٦) هم الجزارون، وحرفة الجزارة من الحرف المهمة التي يشترط في صاحبها أن يكون مسلمًا بالغا عاقلاً حتى يقوم بالذبح وفقًا لتعاليم الإسلام: انظر ابن الحاج: المدخل، جـ٤، ص١٨٢، محاسن الوقاد: الطبقات الشعبية، ص١٣٦.

يبيعون للناس لحوم الدواب الميتة والكلاب[١] مستغلين فقر الناس ومعاناتهم من المجاعة[٢]، لذلك عوقبوا "وشهروا بالقاهرة، ونودي عليهم"[٣]، حتى يكونوا عبرة لمن تسول له نفسه غش الناس والإضرار بهم.

كما تمكن الجشع من أصحاب النفوس الضعيفة وغالوا في أسعار الأكفان، ومتطلبات تجهيز الموتى، كما حدث في طاعون سنة ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م بل وتهاون حفار القبور في دفن الموتى، مما سهل على الحيوانات الضالة العبث بالجثث[٤].

وكان للكوارث الطبيعية أيضًا أثرها في زيادة الممارسات العدوانية من قبل بعض الرعية بالسطو والتعدي على الأفراد والممتلكات والبضائع.

ومن ذلك ما حدث سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٤م على أثر المجاعة التي شهدتها مصر بسبب توقف النيل عن الفيضان[٥]، فتكالب الناس على شراء الدقيق والخبز وتقاتلوا للحصول عليه[٦]، وقال الصيرفي[٧] عن تصرفات الناس حيال هذه الأزمة "فقد الخبز من الأفران والحوانيت

(١) السخاوي: التبر المسبوك، ص٣٥٢، ابن شاهين: نيل الأمل، جـ٢، ق٥، ص٣٤١.
(٢) ابن تغرى بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص٤٣٦.
(٣) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، جـ٢، ص٣٣٤.
(٤) السخاوي: وجيز الكلام، مجلد٣، ص١٢٣٩، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، الذهب، جـ٧، ص٢٠٠.
(٥) قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع، ص٥٧.
(٦) المقريزي: السلوك، جـ٥، ص٣٨٧.
(٧) نزهة النفوس، جـ١، ص٤٣٠.

فتخاطفه الناس من رءوس الحمَّالين"، بل وكانوا يختطفون العجين أيضًا لذلك "لا يحمل إلى الفرن، ولا يخرج الخبز منه إلا ومعه عدة يحمونه بالعصى من النهابة، فكان من الناس من يلقي نفسه على الخبز ليخطف منه، ولا يبالي بما ينال رأسه وبدنه من الضرب"(١).

وهكذا نجد الوالي أو المحتسب يضطر في أوقات الكوارث إلى تعيين من يقومون على حراسة الأفران والحوانيت لمنع الناس من النهب والتعدي(٢).

وكانت تتعرض مراكب الغلال للنهب مثلما حدث أثناء مجاعة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م عندما امتدت أيدي الناس للخطف(٣)، وتصارعوا على على مركب للغلال بالساحل، فماتت امرأة ورجل أثناء التزاحم(٤)، لذلك كان يربط المركب الذي يصل محملًا بالقمح بعيدًا عن الشاطئ خوفًا من نهبه(٥)، وكان لهبوط فيضان النيل سريعًا سنة ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م أثره في قلة الغلال بالوجه القبلي، وزيادة عدد قطاع الطرق، واستيلائهم على المراكب المحملة بالغلال(٦).

وتسبب الجفاف الذي عانت منه مصر سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م في ارتفاع أسعار القمح، وتكالب الناس على شرائه(٧)، مما أدى إلى

---

(١) المقريزي: إغاثة الأمة، ص١٠٨.
(٢) الأمين محمد عوضي: أسواق القاهرة، ص١٣٤.
(٣) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص٧٠.
(٤) الأمين محمد عوض: أسواق القاهرة، ص١٣٤، قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع، ص٥٨.
(٥) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص٧٠.
(٦) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص٥٠٥.
(٧) نفس المصدر: جـ٧، ص١٣٠.

أزمة في الخبز أرقت الناس، فازدحموا أمام الأفران للحصول عليه بعد أن عز وجوده في الحوانيت(١).

وبلغ من انهيار القيم وتغير سلوكيات الناس وقت انتشار الأوبئة والطواعين قيام البعض بسرقة أكفان الموتى، مثلما حدث بمصر سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م، حيث نهب الكثير من أقمشة الأكفان(٢).

وقد كان للآفات الزراعية تأثير كبير على المحاصيل فقلت الأقوات(٣)، ومع قلتها ضاق حال الناس، وكثُر تعدي بعضهم على البعض الآخر(٤) مثلما حدث سنة ٨٤٤ه/ ١١٤٠م، وقد أشار إلى ذلك المقريزي(٥) المقريزي(٥) فقال: "وكثر في هذا الزمان تخاصم الناس، وتعدى بعضهم على بعض، وتزايد وقوع الشر فيما بينهم، وشنع جهرهم بالسوء، وتناجيهم بالإثم والعدوان".

وتسبب نقص فيضان النيل سنة ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م في شرق أكثر الأراضي(٦)، مما دفع الناس للتكالب على شراء الخبز من الدكاكين والأفران(٧)، وقل المعروض من القمح، وطال الأمر فاشتد قلق الناس، وخاف الأمراء من نهب العامة لغلالهم لذلك نقلوها من الشون إلى بيوتهم في حراسة مماليكهم(٨)، وكثيرًا ما تقع مثل هذه الحوادث خاصةً

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ١٠٤.
(٢) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص٤٣٨.
(٣) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص٤٦٧.
(٤) عيسى محمود: أسعار الحبوب، ص١٩، ٢٠.
(٥) السلوك، جـ٧، ص٤٧٥.
(٦) السخاوي: وجيز الكلام، مجلد٢، ص٦٤٧.
(٧) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، جـ١، ص٢٨٧.
(٨) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص٢٨١ – ٢٨٣.

مع زيادة القحط والجوع، مما يدفع بعض الناس إلى السلب والنهب. ومن ذلك ما حدث سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م حيث عانى الناس من المجاعة، وغلاء الأسعار فكثرت السرقات، والتعدي على البيوت(١).

وكان لانتشار الطاعون سنة ٨٦٤هـ ١٤٦٠م أثره في تردي الأوضاع الاقتصادية، فزادت حوادث السرقات والتعدي(٢)، وفقد الناس الأمن في الشوارع والطرقات(٣) كما تعرضت أسواق القاهرة للسرقة والنهب سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٥م حيث كانت تعاني البلاد من الجفاف والمجاعة فكثر السراق، ونُهِبَت الدكاكين والمحال(٤).

في الواقع إن ظاهرة التسول، وجشع التجار، والغش والتدليس، والسطو والتعدي، ما هي إلا سلوك غير اعتيادي يصدر من القلة في الأوقات العادية، أما عند وقوع الكوارث الطبيعية فنجد هذه السلوكيات تكون أكثر حدة وانتشارًا.

أمام التبعات المدمرة للكوارث الطبيعية يشعر الإنسان بالعجز وقلة الحيلة، مما يدفع الناس إلى زيادة التقرب إلى الله، وطلب العون منه بالتضرع والاستغفار، وكثرة الصلاة والصيام وتلاوة القرآن، والابتعاد عن كل ما يغضب الله ليرفع عنهم البلاء وخطر هذه الكوارث.

وغالبًا يُرجع الناس حلول الكوارث بالبلاد إلى غضب الله سبحانه

---

(١) البقاعي: إظهار العصر، ق١، ص٦٧.
(٢) فتحي سالم: وباء الطاعون، ص٤٦٨.
(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٦، ص١٣٦.
(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص٢٢٩.

وتعالى عليهم، لفساد أخلاقهم، وإسرافهم في المعاصي[١]، وأكد ذلك المقريزي[٢] بقوله: "هذه عادة الله تعالى في الخلق إذا خالفوا أمره وأتوا محارمه، أن يصيبهم بذلك جزاء ما كسبت أيديهم".

وهكذا نجد في أوقات الكوارث والأزمات يكثر التجاء الناس إلى الله تعالى، ومن ذلك ما كان بمصر سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م عندما تزايد الموت بالطاعون جمع القاضي عددًا من القراء لقراءة القرآن في جامع الحاكم، كما احتشد الكثير من الناس بالجامع الأزهر ودعوا الله لرفع الوباء[٣].

وفي عام ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م عانت مصر من المجاعة، واشتد أثرها على الناس فسار شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني[٤] إلى الجامع

---

(١) قاسم عبده قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع، ص٦٧، ٦٨، سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص٣٤٠.

(٢) إغاثة الأمة، ص١١٥.

(٣) المقريزي: السلوك، جـ٥، ص٢٠٧، ٢٠٨، السخاوي: وجيز الكلام، مجلد١ ص٢٨٥.

(٤) عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن شهاب بن عبدالخالق الكناني، أبو حفص سراج الدين، العسقلاني الأصل ثم البلقيني المصري، ولد سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٢٣م ببلقينية من نواحي الغربية، وحفظ القرآن الكريم بها، ثم استوطن القاهرة مع أبيه حيث تلقى دروس العلم وكان واسع المعرفة بعلم الحديث، والفقه، التف حوله الكثير من الطلبة، وولي قضاء الشام ثم مصر أكثر من مرة، وكان لا يجالسه أحد من العلماء إلا ويعترف بفضله وتفرده، تُوفى -رحمه الله- سنة ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م. انظر ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٢، ص٢٤٥-٢٤٧، السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ط أولى دار الجيل بيروت ١٩٩٢م، جـ١٠، ص٨٥-٨٩، ترجمة ٢٨٦، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، جـ٩، ص٨٠، ٨١.

الأزهر[١]، ومعه تلاميذه، واجتمع معهم أعداد غفيرة من الناس تضرعوا إلى الله تعالى ليرفع عنهم هذا البلاء[٢].

كما دفع تراجع فيضان النيل سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م الناس إلى التزام المساجد للدعاء والابتهال إلى الله ﷻ لزيادة النيل[٣]، بل وخرجوا إلى الصحراء للاستسقاء أيضًا[٤].

وعندما حدث جفاف ومجاعة في مصر سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م خرج قاضي قضاة الشافعية جلال الدين البلقيني[٥] ماشيًا إلى الصحراء ومعه أعداد لا تحصى من الناس [٦]، يبكون ويتضرعون إلى الله ﷻ أن يُنَزِّل عليهم الغيث "وهم قيام نحو ساعة، ثم انصرفوا، فكان من المشاهد العظيمة"[٧].

---

(١) المقريزي: السلوك، جـ٥، ص٣٨٥.

(٢) الصيرفي: نزهة النفوس، جـ١، ص٤٢٧، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ق٣، ص٤٨٢.

(٣) السخاوي: وجيز الكلام، مجلد١، ص٣٧١، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ق٣، ص٦٨٠.

(٤) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص١٠٠، السخاوي: وجيز الكلام، مجلد١، ص٣٧١.

(٥) عبدالرحمن بن عمر بن رسلان الكناني، أبوالفضل جلال الدين، ولد سنة ٧٦٣هـ/ ١٣٦١م، حفظ القرآن الكريم وتفقه بأبيه وغيره من الشيوخ، برع في اللغة العربية والتفسير، ويُعد من علماء الحديث، ولي القضاء بمصر أكثر من مرة، وتميز بالنزاهة وسعة العلم، وله العديد من المصنفات، توفى سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م. انظر ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص٢٥٩، ٢٦٠، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٤، ص٢٣٧، ٢٣٨، السخاوي: الضوء اللامع، جـ٤، ص١٠٦-٢١٢، ترجمه ٣٠١.

(٦) ابن شاهين: نيل الأمل، جـ١، ق٣، ص٢٩٤.

(٧) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص٣٩٧.

ومع كثرة الوفيات بالطاعون سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م اعتقد كل إنسان بمصر أنه هالك ولا فرصة لنجاته من الطاعون، فتاب واستسلم لقدره، وأصبح أغلب الشباب ملتزمًا ليس له هم سوى الصلاة والخشوع لله تعالى(١).

وهكذا كثيرًا ما يلجأ الناس في أوقات الأزمات إلى الله ﷻ على أمل أن يتوب عليهم، ويخفف من معاناتهم، ويرفع عنهم ما هم فيه من البلاء.

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٤، ص٣٤١، ٣٤٢.

ثالثًا: دور الدولة في مواجهة آثار الكوارث الطبيعية:

قامت دولة المماليك الجراكسة بإجراءات عديدة لمواجهة آثار الكوارث الطبيعية التي هددت البلاد. ففي الناحية الاقتصادية عملت الدولة على مراقبة الأسواق، والضرب على أيدي المحتكرين والمتلاعبين بالأسعار، ومحاولة توفير السلع بأسعار مناسبة، والحرص على عمارة الجسور للحد من أضرار الفيضان، والسعي في رفع الضرائب والمكوس عن الناس خاصة في أوقات الأوبئة والطواعين.

ففي سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٤م كان لتراجع فيضان النيل أثره في معاناة أهل مصر من المجاعة، وارتفاع الأسعار(١) التي امتدت إلى سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٦م، وللتخفيف عن كاهل الرعية عمدت الدولة إلى جلب الغلال من خارج مصر فتراجعت الأسعار(٢)، وعندما قل الخبز بالأسواق شكًا الناس إلى السلطان برقوق الذي أمر بتسمير الطحانين، وسماسرة الغلال، وقام المحتسب بمعاقبة أربعة منهم بالجلد(٣).

وكان للجفاف الذي أصاب مصر في سنتي ٨١٨-٨١٩هـ/ ١٤١٥- ١٤١٦م أثره في معاناة البلاد من المجاعة وارتفاع الأسعار(٤)، فقام السلطان المؤيد شيخ بجلب الغلال وتوزيعها على الطحانين بسعر

(١) الصيرفي: نزهة النفوس، جـ١، ص٣٩١.
(٢) ابن الفرات: تاريخه، مجلد ٩، جـ٢، ص٤٣٥، المقريزي: السلوك، جـ٥، ص٣٨٥.
(٣) ابن الفرات: تاريخه، مجلد٩، جـ٢، ص٤٣٤، ٤٣٥.
(٤) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص٣٨٣، ٣٩٥، ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص٥٦، ٧٠، ٨٧.

محدد[١]، كما تولى أعمال الحسبة بنفسه وتصدي للنظر في الأسعار[٢]، "حتى لم يدع لمحتسب القاهرة في ذلك أمرًا، فمشى الحال بذلك، ورد رمق الناس"[٣].

وقد صاحب المجاعة التي اجتاحت مصر سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م ارتفاع في أسعار القمح[٤] فأمر السلطان جقمق بفتح شونة والبيع منها[٥]، فأدخل السرور على الرعية، وكان ذلك بداية لانخفاض أسعار القمح[٦].

وعندما ارتفع فيضان النيل سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م وأغرق الأراضي كلف السلطان برقوق عددًا من الأمراء لسد مقاطع الماء وصيانة الجسور[٧] ، ولما فاض النيل سنة ٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م ألزم السلطان الأشرف برسباي الأمراء "بالتركيز على السواحل ليحفظ الجسور خوفًا من الغرق أن يطرق أطراف البلد من الغيطان والبيوت والعمائر"[٨]. والعمائر"[٨].

ونتج عن شدة فيضان النيل سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م تقطع لأحد

(١) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص٤٠٥.
(٢) العيني: السيف المهند، ص٣٤١، ٣٤٢، الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٢، ص٣٥٨.
(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٤، ص٤٠.
(٤) نفس المصدر: جـ١٦، ص١.
(٥) السخاوي: التبر المسبوك، ص٣٤٦.
(٦) رأفت النبراوي: أسعار السلع، ص٢٠٣.
(٧) المقريزي: السلوك، جـ٥، ص١٥٤، الصيرفي: نزهة النفوس، جـ١، ص٧٤. ص٧٤.
(٨) الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٣، ص٩.

الجسور فقام السلطان الظاهرة جقمق بترميم وصيانة الجسور[١]، كما تسبب فيضان النيل سنة ٨٥٩هـ/ ١٨٥٥م في تقطع الجسور، فوجه السلطان الأشرف إينال الأوامر إلى الاستادار[٢] لإعمار ما تهدم من الجسور[٣]، وكذلك فعل عندما تقطعت بعض الجسور سنة ٨٦٣هـ/ ١٤٥٩م[٤].

وكان السلطان الأشرف قايتباي (٨٧٢-٩٠١هـ/ ١٤٦٧-١٤٩٦م) يحرص على تفقد الجسور بمدن مصر للاطمئنان على صيانتها، بدليل أنه في صفر من عام ٨٧٧هـ/ يوليه ١٤٧٣م عاقب كاشف[٥] بلبيس لإهماله وأمره بعمارة الجسور[٦].

ويتضح مما سبق أن إهمال صيانة الجسور لم يكن صفة سائدة طوال عصر المماليك الجراكسة، بل هناك عدد من السلاطين الأقوياء في هذه الفترة اهتموا بالجسور، وبمرافق ضبط النهر رغم الأزمات التي

---

(١) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٤، ص١٧٧، السخاوي: التبر المسبوك، جـ١، ص٥١.

(٢) كلمة فارسية مكونة من مقطعين الأول استند ومعناه الأخذ والثاني دار ومعناه الممسك أي المتولى للأخذ، وهنا المقصود به استادار العالية وهو يطلق على من يتولى قبض مال السلطان أو الأمير، وصرفه وتنفيذ أوامره فيه: انظر القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٥، ص٤٥٧.

(٣) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، جـ٢، ص٢٤٢.

(٤) البقاعي: إظهار العصر، ق٣، ص٨٥.

(٥) جمعها كشاف ، والكاشف هو الذي يتولى أحوال الأراضي والجسور ، ويتولى الوجه القبلي ثلاثة موزعين على الفيوم ، والصعيد الأدنى، والصعيد الأعلى ، أما الوجه البحري فخصص له اثنان أحدهما بالشرقية والآخر بالغربية : انظر القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٤، ص٢٥، ٢٦.

(٦) الصيرفي: إنباء الهصر، ص٤٧٤، ٤٧٥.

واجهتهم.

وكان للدولة أيضًا دور وقت انتشار الأوبئة والطواعين، ففي سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م حرص السلطان برقوق على إبطال الكثير من أنواع الضرائب والمكوس[١]، حيث "كان يتحصَّل من هذه الأنواع في كل شهر جملة من المال، فأبطل ذلك جميعه، وكتب به مساميح، وأودعها عند قاضي قضاة الشافعية"[٢].

وأعقب انتشار الطاعون بمصر سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م ارتفاع في أسعار الغلال[٣]، ففتح السلطان قايتباي بعض شونه ليباع منها بسعر محدد "فحصل للناس بعض رفق، وكثُر الخبز على الدكاكين"[٤]، ومع تزايد الطاعون سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م أبطل السلطان الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/ ١٥٠١-١٥١٦م) المكوس والضرائب المفروضة على السوقة والتجار، والطواحين، كما أمر بتسعير البضائع[٥].

أما من الناحية الاجتماعية فقد كان لدولة المماليك الجراكسة دور بارز في التخفيف من الآثار الاجتماعية للكوارث الطبيعية، منها حض الناس على الطاعات والتوبة إلى الله والبعد عن المعاصي، وقيام السلاطين بالقضاء على الفساد ومهاجمة أوكاره، وتقديم يد العون للرعية حتى أهل السجون، وأيضًا الاهتمام بالأعمال الخيرية مثل توفير مغاسل للسبيل، والإكثار من الصدقات، وكان يشارك في ذلك الأمراء والأعيان،

---

(١) المقريزي: السلوك، جـ٥، ص٤٤٦.
(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ق٣، ص٥٣٢.
(٣) نفس المصدر، جـ٣ ص٤١.
(٤) نفسه: ص ٤٣.
(٥) نفسه: جـ٤، ص٣٠٤، ٣٠٥.

وغيرهم ممن لديهم القدرة على الإنفاق والعطاء.

ففي سنة ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م عانت مصر من الجفاف لتراجع فيضان النيل[١] لذلك أمر السلطان بأن ينادى "بالقاهرة بالصيام ثلاثة أيام، ثم بالخروج إلى الصحراء للاستسقاء"[٢]. فصام أغلب الناس، ثم اجتمعوا للصلاة ومعهم السلطان مرتديًا ملابس الصوفية، وصلى بهم قاضي القضاة جلال الدين البلقيني، وخطب فيهم ووعظهم وحثهم على التوبة إلى الله والبعد عن المعاصي، والإكثار من أعمال الخير[٣].

وعندما توقف النيل عن الفيضان سنة ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م اضطرب الناس، فأمر السلطان الظاهر جقمق بخروج الرعية لصلاة الاستسقاء، فخرج الخليفة والقضاة الأربعة والمشايخ والعلماء والأشراف، وطائفة من اليهود والنصارى، وسائر الناس وصلى بهم قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي [٤] للاستسقاء [١] "ودعا اللهﷺ

(١) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص٢٠١.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٤، ص٩٧.

(٣) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص١٣، ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص٢٢٠، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٤، ص٩٧.

(٤) يحيى بن محمد بن محمد بن أحمد بن مخلوق بن عبدالسلام أبو زكريا شرف الدين، المناوي المصري، وُلد سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م، ونشأ بالقاهرة، واهتم بدراسة الحديث والنحو، واشتهر بإجادة الفقه والأصول، وله العديد من المؤلفات، كما تصدر للإقراء والإفتاء، وولي القضاء بالديار المصرية، ويعتبر آخر علماء الشافعية ومحققيهم، توفى سنة ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م: انظر السخاوي: الضوء اللامع، جـ١٠، ص٢٥٤-٢٥٧، ترجمة ١٠٣٣، السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ١، ص٣٨٤، ترجمة ٢٠٢، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، جـ٩، ص٤٦٣.

بإجراء النيل ، وأمَّن الناس على دعائهِ، وعظم ضجيج الخلائق من البكاء والنحيب والتضرع إلى الله تعالى"[٢].

ومع تزايد الوفيات بالطاعون سنة ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م أمر السلطان المؤيد شيخ متولي الحسبة بإعلان الناس بالصيام ثلاثة أيام متوالية[٣]، وحين اشتد الأمر "نودي في الناس بالمضي إلى الصحراء من الغد، وأن يخرج العلماء، والفقهاء، ومشايخ الخوانك وصوفيتها وعامة الناس"[٤] ثم لحق بهم السلطان وقد ارتدى ملابس بسيطة وأظهر الانكسار والخشوع لله تعالى، وأخذ يدعو ويبتهل لرفع الوباء ويشاركه في هذا أعداد لا حصر لها من الناس[٥].

وعندما انتشر الطاعون بمصر سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م "أمر السلطان القضاة والأمراء بأن يأمروا الناس بالتوبة والإقلاع عن المعاصي والإكثار من الطاعات" [٦] ، وأن يصوموا ثلاثة أيام، ويتحللوا من المظالم، ويخرجوا إلى الصحراء [٧] ، فخرج قاضي القضاة ومعه

=

(١) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، جـ١، ص٢٨٧-٢٨٩، السخاوي: وجيز الكلام، مجلد٢، ص٦٤٦، ٦٤٧، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص٢٨١، ٢٨٢.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٥، ٤٢٤.

(٣) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص٤٩٥، الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٢، ص٤٥٥.

(٤) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص٤٩٦.

(٥) نفس المصدر، ص٤٩٦، ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص١٩٩.

(٦) نفس المصدر، ص٤٣٩.

(٧) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص٢٠٤، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٤، ص٣٣٨، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص١٣٢.

جموع الناس ووعظهم "فكثُر ضجيج الرجال والنساء وكثُر بكاؤهم في دعائهم وتضرعهم"(١).

ومن شدة الطاعون الذي حل بمصر سنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٧م أمر السلطان القضاة والمشايخ وطلبة العلم بقراءة القرآن بالجامع الأزهر، وبعد أن ينتهوا من القراءة يدعون الله برفع الوباء عن البلاد(٢).

ولما فشا الطاعون سنة ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م قام المحتسب ووالي القاهرة بمداهمة أماكن الفساد وأراقا الخمور(٣) ومنعا تعاطي الحشيش، وردعا مرتكبي الفاحشة من النساء(٤).

وعندما نزل الطاعون بمصر سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٨م سأل السلطان الفقهاء والقضاة عن الذنوب التي إذا اقترفها الناس أصابهم الله بالطاعون، فأجابه بعضهم أن سبب ذلك انتشار الفاحشة، وكثرة تبرج النساء بالطرقات والأسواق، فأمر السلطان بمنع خروج الناس مطلقًا من بيوتهن(٥)، ظنًا منه أن منعهن يرفع الطاعون وينهي معاناة الناس، وبعد وبعد فترة كثُرت الشكوى إلى السلطان من تضرر النساء وعجزهن عن قضاء حوائجهن، فخفف من هذه الإجراءات وسمح للجواري والعجائز بالخروج لتدبير أمورهن، "وأن تخرج النساء إلى الحمامات ولا يقمن بها

(١) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص٢٠٤.
(٢) ابن شاهين: نيل الأمل، جـ٢، ق٧، ص١٧٤.
(٣) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص٤٩٥، ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص١٩٢.
(٤) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص٤٩٥.
(٥) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص٣٥٠، ابن شاهين: نيل الأمل، جـ٢، ق٥، ص٢٤، ٢٥، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص١٨٢.

إلى الليل"[١].

وقام السلطان الغوري بمحاربة الفساد خاصة مع تزايد الإصابة بالطاعون، فأمر سنة ٩١٠هـ/ ١٥٠٥م "حاجب الحجاب ووالي القاهرة بأن يكبسوا بيوت النصارى ويكسروا ما عندهم من جرار الخمر، ويحرقوا أماكن الحشيش"[٢]، ومُنِّع سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م بيع الخمور والحشيش وغيره، وشدد على نهي النساء الخواطي من ارتكاب الفاحشة[٣]، وكان شائعًا في أوقات الكوارث والأزمات أن تهاجم الدولة أوكار الفساد، ومستودعات الخمور، ومخازن الحشيش، وأماكن اللهو[٤]، في محاولة منها للقضاء على كل ما ينشر الفساد في المجتمع، ويكون سببًا في سخط الله تعالىﷻ ونقمته.

وكان السلاطين الجراكسة يسارعون إلى تقديم يد المساعدة للرعية أيام الكوارث والنكبات. ففي سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م قام السلطان برقوق على أثر المجاعة التي عانت منها مصر بتوزيع الخبز على الفقراء والمساكين وأهل السجون[٥]، وقدم يوميًّا وجبات من الطعام مكونة من "اللحم والمرق والخبز، فبلغ عدد الفقراء الذين يأخذون ذلك خمسة آلاف نفس"[٦]، وعندما تأثرت مصر بالمجاعة سنة ٨٥٤هـ/

(١) الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٣، ص٤٠٦.
(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٤، ص٧٦.
(٣) نفس المصدر: ص٣٠٣.
(٤) قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع، ص٦٨.
(٥) المقريزي: السلوك، جـ٥، ص٣٨٤، الصيرفي: نزهة النفوس، جـ١، ص٤٢٤، ٤٢٥، السخاوي: وجيز الكلام، مجلد٢، ص٣٢١.
(٦) المقريزي: السلوك، جـ٥، ص٣٨٥.

١٤٥٠م أكثر السلطان جقمق من الصدقات وأعمال البر "واقتفى طريقة من شاء الله من الأمراء فمن دونهم"(١).

وقد دفع انتشار الطاعون بمصر واشتداد المجاعة سنة ٨١٩هـ/ ١٤١٦م السلطان المؤيد شيخ إلى توزيع الأموال والقمح على الفقراء والمحتاجين وغيرهم(٢)، "فعم النفع، وشمل البر عدة طوائف، وكان جملة ما فرق أربعة آلاف دينار"(٣)، وأمام كارثة انتشار الطاعون سنة ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م قام السلطان بنحر الذبائح بنفسه، ووزع لحومها على الفقراء وبعث منها إلى الجوامع والزوايا والخوانق، وفرق الخبز أيضًا، كما أرسل إلى السجون قدور الطعام والخبز(٤).

وفي سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م تزايدت أعداد الموتى بمصر نتيجة للإصابة بالطاعون ، فاتجه السلطان برسباي " لفعل الخير والحض عليه"(٥)، كما أفرج عن جميع المسجونين أيام انتشار الطاعون سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧، وأغلق السجون قاطبة، وكان لذلك أثره في انتشار السراق، وأصحاب الجرائم بنواحي مصر(٦)، فاشتدت معاناة الناس.

وعندما زادت الوفيات بالطاعون سنة ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م جهز

---

(١) السخاوي: وجيز الكلام، مجلد٢، ص٦٤٧.

(٢) العيني: السيف المهند، ص٢٦٧، ابن شاهين: نيل الأمل، جـ١، ق٣، ص٢٩٧. ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٢، ص٢٥.

(٣) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص٤٠٤.

(٤) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص٤٩٦، ٤٩٧، ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص١٩٩، الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٢، ص٤٥٥، ٤٥٦.

(٥) السخاوي: وجيز الكلام، مجلد٢، ص٥٠٧.

(٦) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص٣٥١، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٥، جـ١٥، ص٩٤، الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٣، ص٤٠٥.

السلطان الغوري مغسلا للأموات للرفق بالرعية[١]، وأيضًا لما انتشر الطاعون سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م أطلق سراح عدد من المساجين وأظهر العدل "حتى ارتفعت له الأصوات بالدعاء، وكبر من كان حاضرًا في الحوش السلطاني من الجم الغفير من الناس حتى سمعوهم من الجبل المقطم"[٢].

كما كان للأمراء وغيرهم مساهمات في أيام الكوارث مثلما حدث سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م عندما تزايدت الوفيات بشكل كبير نتيجة للمجاعة التي اجتاحت مصر والبرد الشديد[٣]، حتى عجز الفقراء والمساكين عن دفن موتاهم فتصدى لمواراتهم عدد من الأمراء منهم سعد الدين بن غراب[٤] الذي تكفل بالعدد الأكبر "فبلغت عدة من واراه منهم إلى آخر شوال أثني عشر ألفًا وسبعمائة " [٥] ، حيث أنشأ مغسل مغسل بجوار بيته كان يستقبل به الأموات فيجهزهم للدفن من ماله

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٤، ص٧٥.
(٢) نفس المصدر: ص٣١٨.
(٣) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص١٠٠، ١٠٣، ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٢،ص٢٦٠.
(٤) إبراهيم بن عبدالرزاق بن غراب، لقب سعد الدين، نشأ بالإسكندرية، وكان ماهرًا بالكتابة، وتولى للسلطان برقوق عدة وظائف ثم التحق بخدمة السلطان الناصر فرج (٨٠١-٨١٥هـ/ ١٣٩٨-١٤١٢م) وأخلص له ورقى في أيامه، وتولى الإستادارية عام ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م وكان له الفضل في مساعدة الناصر فرج للعودة إلى السلطنة مرة أخرى: انظر ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٢، ص٣٢٨، ٣٢٩، ولبس زي الأتراك، وأصبح له مكانه كبيرة في الدولة، واستمر كذلك حتى وفاته سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م انظر ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٢، ص٣٢٩، ٣٣٠، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ق٣، ص٧٥٥.
(٥) المقريزي: السلوك، جـ٦، ص١٠٣.

الخاص[١].

ومع ارتفاع أعداد الوفيات بالطاعون سنة ٨١٩هـ/ ١٤١٦م تكفل الاستادار بمواراة أكثر الأموات[٢]، وكان للأمير يشبك الدوادار [٣] ، إسهامات في تجهيز الموتى بالطاعون، فأقام سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م مغسلًا يحمل إليه الموتى فيكفنهم ويدفنهم على نفقته الخاصة فخفف ذلك عن الناس خاصةً الفقراء منهم[٤]، كما شارك أيضًا في تكفين الموتى عندما اجتاح الطاعون مصر سنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م[٥].

وكان للأعيان وغيرهم إسهامات أيضًا وقت انتشار الطاعون فخصصوا سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م توابيت للسبيل لحمل الموتى عليها[٦]،

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ق٣، ص٦٨٦.

(٢) ابن حجر: إنباء الغُمر، جـ٣، ص٨٧، السخاوي: وجيز الكلام، مجلد٢، ص٤٤١.

(٣) بشبك بن مهدي الدوادار كان للسلطان جقمق وتولى له عدة مناصب، وخدم السلطان الأشرف إينال، ثم السلطان خشقدم (٨٦٥ – ٨٧٢ هـ/ ١٤٦١-١٤٦٧م)، وخدم كذلك السلطان الأشرف قايتباي وعمل دوادار له (هذه وظيفة من يحمل دواة السلطان أو الأمير أو غيرهما، ويتولاها مع ما يضاف إلى ذلك من الأمور اللازمة لهذا المعنى من حُكم وتنفيذ أمور وغير ذلك) انظر القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٥، ص٤٦٢، وكانت له كلمة نافذة، اهتم بالإنشاءات والعمائر، وكان صاحب بر ومعروف، يحسن إلى الفقراء والضعفاء، واستمر كذلك حتى وفاته سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٨٠م: انظر السخاوي الضوء اللامع، جـ١٠، ص٢٧٢- ٢٧٤ ترجمة ١٠٧٧، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص١٧٢، ١٧٣.

(٤) ابن شاهين: نيل الأمل، جـ٢، ق٦، ص٣٦٥، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص٣٠.

(٥) ابن شاهين: نيل الأمل، جـ٢، ق٧، ص١٧٠، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، جـ٣، ص١٢٦.

عليها[١]، كما أعد مجموعة من الناس توابيت للسبيل سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م عندما فشا الطاعون بمصر[٢]، ومع كثرة الوفيات بالطاعون سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م: "فتحت مغاسل السبيل على جاري العادة"[٣].

وهكذا كان للكوارث الطبيعية في عصر المماليك الجراكسة تأثير مباشر في الزراعة التي تشكل العنصر الأساسي في الاقتصاد المصري، فبارت أغلب الأراضي وقلَّت المحاصيل، وهلكت الثروة الحيوانية، فانعكس ذلك على معيشة الناس خاصة الفلاحين في القرى.

كما أثرت الكوارث الطبيعية على الصناعة خلال هذه الفترة، فأصابها التدهور، حيث هلك الكثير من الصناع والحرفيين، وقل الإنتاج، وتضاعفت الأجور، وارتفعت الأسعار، مما ألقى بتبعاته على الحياة الاقتصادية بمصر.

ولم تسلم حركة التجارة أيضًا من تأثير الكوارث الطبيعية فتوقفت حركة الملاحة ونقل البضائع، وغرقت الطرق والأسواق، وتلفت البضائع، وتضررت الممتلكات، فزادت أسعار جميع السلع، وعانى الناس من ضيق العيش، وتراجعت الأحوال الاقتصادية بمصر.

وكان للكوارث الطبيعية آثار في الحياة الاجتماعية بمصر، فدفع وقوع الجفاف والمجاعات، وانتشار الأوبئة والطواعين الناس إلى الهجرة والتنقل القهري بين القرى والمدن، مما أثر في الكثافة السكانية من مكان لآخر.

---

(١) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص٢٠٦، الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٣، ص١٨٨.

(٢) المقريزي: السلوك، جـ٧، ص٣٥٨.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٤، ص٣٠١.

كذلك ظهر تأثير الكوارث الطبيعية في سلوكيات بعض الناس، فزاد العنف والتعدي، والغش والجشع، والسلب والنهب.

وقد استقر في ذهن الإنسان المصري أن حدوث الكوارث الطبيعية هو عقاب من الله ﷻ يرسله على عباده إذا كثرت ذنوبهم ومعاصيهم، فعمل سلاطين الجراكسة على القضاء على كل ما ينشر الفساد، ويضر بالمجتمع.

وشارك العلماء ورجال الدين الرعية عند وقوع الكوارث والمحن بالخروج لصلاة الاستسقاء، وإظهار التوبة، وكثرة الاستغفار لرفع الوباء. وكان لأغلب السلاطين الجراكسة دور إيجابيا في مواجهة أثر الكوارث الطبيعية سواء من الناحية الاقتصادية، أو الاجتماعية، مما خفف من تأثيرها السلبي بعض الشيء على الرعية، وساعدهم على تجاوز الأزمات والمحن.

كما نتج عن الكوارث الطبيعية التي شهدها عصر المماليك الجراكسة زيادة روح التكافل بين أبناء الشعب المصري، فقدم أصحاب السعة يد العون للفقراء والمساكين، وتعاونوا على حفر القبور، وتغسيل الموتى وتكفينهم.

(جدول فيضان النيل المنخفض والعالي)

المسلسل	نوع الكارثة	التاريخ	المناطق التي تأثرت بالكارثة
١	فيضان منخفض	٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م	غالب إقليم مصر
٢	فيضان منخفض	٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م	غالب إقليم مصر
٣	فيضان منخفض	٧٩٨هـ/ ١٣٩٤م	غالب إقليم مصر
٤	فيضان منخفض	٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م	غالب إقليم مصر
٥	فيضان منخفض	٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م	غالب إقليم مصر
٦	فيضان منخفض	٨١٨هـ/ ١٤١٥م	غالب إقليم مصر
٧	فيضان منخفض	٨٢١هـ/ ١٤١٨م	غالب إقليم مصر
٨	فيضان منخفض	٨٢٢هـ/ ١٤١٩م	غالب إقليم مصر
٩	فيضان منخفض	٨٢٧هـ/ ١٤٢٤م	معظم أراضي الصعيد والوجه البحري
١٠	فيضان منخفض	٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م	غالب إقليم مصر

١١	فيضان منخفض	٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م	غالب أراضي الصعيد والجيزة
١٢	فيضان منخفض	٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م	غالب إقليم مصر
١٣	فيضان منخفض	٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م	أراضي الوجهين القبلي والبحري
١٤	فيضان منخفض	٨٦٦هـ/ ١٤٦٢م	غالب إقليم مصر
١٥	فيضان منخفض	٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م	غالب إقليم مصر
١٦	فيضان منخفض	٨٩١هـ/ ١٤٨٥م	غالب إقليم مصر
١٧	فيضان منخفض	٩٢٣هـ/ ١٥١٧م	بلاد الصعيد
١٨	فيضان منخفض	٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م	أغرق معظم أراضي مصر
١٩	فيضان منخفض	٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م	أغرق معظم أراضي مصر
٢٠	فيضان منخفض	٨٢٥هـ/١٤٢٢م	أغرق أراضي مصر وقطع الجسور
٢١	فيضان منخفض	٨٣٨هـ/ ١٤٣٥م	أغرق غالب مزروعات الوجه البحري
٢٢	فيضان منخفض	٨٤٥هـ/ ١٤٤١م	تقطعت منه الجسور

٢٣	فيضان منخفض	٨٥٩هـ/ ١٤٥٥م	تقطعت منه الجسور
٢٤	فيضان عالي	٨٦٣هـ/ ١٤٥٩م	أغرق معظم أراضي مصر
٢٥	فيضان عالي	٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م	أغرق معظم أراضي مصر
٢٦	فيضان عالي	٩٢١هـ/ ١٥١٥م	تضررت منه أكثر بلاد الفيوم

(جدول الأمطار وما صاحبها من ثلوج وبَردَ)

المسلسل	نوع الكارثة	التاريخ	المناطق التي تأثرت بالكارثة
١	أمطار غزيرة	٧٩٥هـ/ ١٣٩٣م	أماكن متفرقة بمصر
٢	أمطار غزيرة	٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م	القاهرة
٣	أمطار غزيرة	٨١٨هـ/ ١٤١٥م	أماكن متفرقة بمصر
٤	أمطار وبَردَ	٨٢١هـ/ ١٤١٨م	مدينة الغربية
٥	أمطار وبَردَ	٨٢٦هـ/ ١٤٢٣م	مدينة المحلة
٦	أمطار غزيرة	٨٢٧هـ/ ١٤٢٤م	أماكن متفرقة بمصر
٧	أمطار وثلوج	٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م	البهنسا

٨	أمطار غزيرة	٨٣٨هـ/ ١٤٣٥م	أماكن متفرقة بمصر
٩	أمطار غزيرة	٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م	أماكن متفرقة بمصر
١٠	أمطار غزيرة	٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م	مدينة القاهرة
١١	أمطار وبَردَ	٨٦٠هـ/ ١٤٥٦م	مدينة القليوبية
١٢	أمطار وبَردَ	٨٦٥هـ/ ١٤٦١م	مدن الوجه البحري
١٣	أمطار غزيرة	٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م	أماكن متفرقة بمصر
١٤	أمطار غزيرة	٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م	مدينة القاهرة
١٥	أمطار غزيرة	٨٩٨ه/ ١٤٩٢م	مدينة دمياط
١٦	أمطار غزيرة	٩١٦ه/ ١٥١٠م	مدينتي المنوفية والشرقية

(جدول الصقيع والبرودة الشديدة)

المسلسل	نوع الكارثة	التاريخ	المناطق التي تأثرت بالكارثة
١	برودة شديدة	٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م	بأنحاء مصر
٢	صقيع	٨٣١ه/ ١٤٢٧م	بأنحاء مصر

٣	برودة شديدة وصقيع	٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م	بأنحاء مصر
٤	صقيع مفرط	٨٩٥هـ/ ١٤٩٠م	بأنحاء مصر
٥	برودة شديدة	٩١٤هـ/ ١٥٠٨م	تأثر بها مدن الوجه البحري
٦	برودة شديدة وصقيع	٩١٧هـ/ ١٥١٢م	بأنحاء مصر
٧	صقيع	٩١٨هـ/ ١٥١٣م	بأنحاء مصر

(**جدول الرياح والعواصف**)

المسلسل	نوع الكارثة	التاريخ	المناطق التي تأثرت بالكارثة
١	رياح حارة وعواصف	٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م	عدة مناطق بمصر
٢	رياح وعواصف	٨٢٦هـ/ ١٤٢٣م	الوجه القبلي
٣	عواصف	٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م	القاهرة
٤	رياح شديدة	٨٣١هـ/ ١٤٢٧م	الوجه البحري
٥	رياح حارة	٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م	عدة مناطق بمصر
٦	رياح شديدة	٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م	دمياط
٧	رياح	٨٦٢هـ/ ١٤٥٨م	عدة مناطق بمصر

	وعواصف		
٨	عواصف	٨٨٦هـ/ ١٤٨١م	دمياط
٩	عواصف	٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م	القاهرة
١٠	رياح وعواصف	٩٠٩هـ/ ١٥٠٤م	دمياط
١١	رياح وعواصف	٩١٧هـ/ ١٥١١م	القاهرة

(جدول الآفات الزراعية)

المسلسل	نوع الكارثة	التاريخ	المناطق التي تأثرت بالكارثة
١	الفئران	٨١٨هـ/ ١٤١٥م	بالوجه البحري
٢	الفئران	٨٣١هـ/ ١٤٢٧م	مدينة الغربية
٣	الفئران	٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م	مدينة الغربية
٤	الفئران	٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م	البهنسا بالصعيد
٥	الفئران	٩١٧هـ/ ١٥١١م	عدة مناطق بمصر
٦	الدود	٨٢١هـ/ ١٤١٨م	عدة مناطق بمصر
٧	الدود	٨٢٢هـ/ ١٤١٩م	طهرمس بناحية الجيزة
٨	الدود	٨٣١هـ/ ١٤٢٧م	عدة مناطق بمصر
٩	الدود	٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م	عدة مناطق بمصر
١٠	الدود	٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م	الوجه البحري
١١	الدود	٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م	الوجه البحري
١٢	الدود	٨٥٥هـ/ ١٤٥١م	سائر أقاليم مصر
١٣	الدود	٨٩١هـ/ ١٤٨٥م	عدة مناطق بمصر

المسلسل	نوع الكارثة	التاريخ	المناطق التي تأثرت بالكارثة
١٤	الجراد	٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م	مناطق متفرقة بمصر
١٥	الجراد	٨٤١هـ/ ١٤٣٧م	بضواحي القاهرة
١٦	الجراد	٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م	مناطق متفرقة بمصر

(جدول الأوبئة والطواعين والأمراض الحادة)

المسلسل	نوع الكارثة	التاريخ	المناطق التي تأثرت بالكارثة
١	الوباء	٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م	مدينة الإسكندرية
٢	الوباء (أصاب الأبقار)	٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م	بكافة أقاليم مصر
٣	الوباء	٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م	مدينتي الشرقية والغربية
٤	الطاعون	٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م	غالب إقليم مصر
٥	الطاعون	٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م	غالب إقليم مصر
٦	الطاعون	٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م	الوجه القبلي
٧	الطاعون	٨٠٩هـ/ ١٤٠٧م	غالب إقليم مصر
٨	الطاعون	٨١٦هـ/ ١٤١٣م	غالب إقليم مصر
٩	الطاعون	٨١٩هـ/ ١٤١٦م	انتشر بمصر وخاصة الصعيد
١٠	الطاعون	٨٢٠هـ/ ١٤١٧م	مدينتي الإسكندرية ودمياط
١١	الطاعون	٨٢٢هـ/ ١٤١٩م	القاهرة ومدن الوجه البحري
١٢	الطاعون	٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م	تركز بالقاهرة والوجه البحري
١٣	الطاعون (أصاب الثروة الحيوانية خاصة الأبقار)	٨٤١هـ/ ١٤٣٨م	غالب إقليم مصر
١٤	الطاعون	٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م	غالب إقليم مصر
١٥	الطاعون	٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م	أكثر الإصابات بالقرى
١٦	الطاعون	٨٥٣هـ/ ١٤٥٠م	مدينة القاهرة

المسلسل	نوع الكارثة	التاريخ	المناطق التي تأثرت بالكارثة
١٧	الطاعون	٨٦٤هـ/١٤٦٠م	بقرى الشرقية والغربية
١٨	الطاعون	٨٧٣هـ/١٤٦٨م	أكثر مدن الوجه البحري
١٩	الطاعون	٨٨١هـ/١٤٧٦م	مدينة المحلة والقرى المحيطة بها
٢٠	الطاعون	٨٩٧هـ/١٤٩٢م	أكثر إقليم مصر
٢١	الطاعون	٩٠٣هـ/١٤٩٨م	أكثر إقليم مصر
٢٢	الطاعون	٩١٠هـ/١٥٠٥م	أكثر إقليم مصر
٢٣	الطاعون	٩١٩هـ/١٥١٣م	مدينة القاهرة
٢٤	الأمراض الحادة	٨٠٢هـ/١٣٩٩م	بعض المناطق بمصر
٢٥	الأمراض الحادة (أصابت الأبقار والجاموس)	٨٢٩هـ/١٤٢٥م	غالب إقليم مصر
٢٦	الأمراض الحادة	٨٥٤هـ/١٤٥٠م	غالب إقليم مصر
٢٧	الأمراض حادة (أصابت الثروة الحيوانية)	٨٥٦هـ/١٤٥٢م	تركزت بالقاهرة وما حولها
٢٨	الأمراض حادة (أصابت الثروة الحيوانية)	٨٩٠هـ/١٤٨٥م	غالب إقليم مصر

(جدول بالزلازل القوية)

المسلسل	نوع الكارثة	التاريخ	المناطق التي تأثرت بالكارثة
١	زلزال شديد	٨٨١هـ/ ١٤٧٦م	القاهرة
٢	زلزال هائل	٨٨٦هـ/ ١٤٨١م	الفسطاط والقاهرة
٣	زلزال عظيم	٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م	القاهرة

- من أعداد الباحثة.

قائمة المصـــادر والمراجـــع

أولاً: المصادر:

- **القرآن الكريم.**

- ابن إياس: محمد بن أحمد بن إيـــاس الحنفـــي، ت ٩٣٠هـــ/ ١٥٢٣م.

١) بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصـــطفى، ط القاهرة ١٩٧٤م.

- ابن بطوطة: أبوعبد الله محمد بـــن عبـــدالله إبـــراهيم اللـــواتي الطنجي، ت ٧٧٩هـــ/ ١٣٧٧م.

٢) كتاب رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار فـــي غرائـــب الأمصـــار وعجائب الأسفار، تحقيق محمد عبـــدالمنعم العريـــان، راجعـــه مصطفى القصاص ط أولى دار إحياء العلوم بيروت ١٩٨٧م.

- البقاعي: إبراهيم بن عمر البقاعي، ت ٨٨٥هـــ/ ١٤٨٠م.

٣) إظهار العصر لأسرار أهل العصر – حوادث سنة ٨٥٥ إلى سنة ٨٦٥هـــ، ثلاثة أقسام دراسة وتحقيق محمد سالم بـــن شديد العوفي، ط١، القاهرة ١٩٩٣م.

- ابن البيطار: ضياء الدين أبـــي محمـــد المـــالقي الأندلســـي، ت ٦٤٦هـــ/ ١٢٤٨م.

٤) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ط القاهرة ١٢٩١هـــ.

- ابن تغري بردي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بـــن تغـــري بردي، ت ٨٧٤هـــ/ ١٤٦٩م.

٥) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقـــاهرة، ١٣ جـــزء، ط

القاهرة د.ت، جـ١٤، تحقيق جمال محمد محرز وفهيم محمد شلتوت، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢، وجـ١٥، تحقيق إبراهيم على طرخان، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م، وجـ١٦ تحقيق جمال الدين الشيال وفهيم محمد شلتوت، ط دار الكتب ١٩٧٢م.

٦) حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، جـ١، عالم الكتب ١٩٩٠م.

- ابن الجيعان: شرف الدين يحيي بن المقر، ت ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م.

٧) التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، ط القاهرة، ١٨٩٨م.

- ابن الحاج: محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي، الشهير بابن الحاج المالكي، ت ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م.

٨) المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد، ط القاهرة د.ت.

- ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م.

٩) إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق حسن حبشي، جـ ١، ٤ ط القاهرة ١٩٩٨م، جـ ٢، ٣ ط القاهرة ١٩٩٤م.

- ابن الحمصي: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر، ت ٩٣٤هـ/ ١٥٢٧م.

١٠) حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، ط١، بيروت ١٩٩٩م.

- ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي،

ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م

١١) المقدمة، ط دار التحرير القاهرة ١٩٦٦م.

- داود بن عمر الأنطاكي، ت ١٠٠٨هـ/ ١٦٠٠م.

١٢) تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب، ط بيروت د.ت.

- ابن دقماق: إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي، ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٧م.

١٣) الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط بيروت د.ت.

- الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت ٧٤٨هـ /١٣٤٧م.

١٤) الطب النبوي، ط القاهرة ١٩٦١م.

- السبكي: تاج الدين عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي، ت ٧٧١هـ/ ١٣٧٠م

١٥) معيد النعم ومبيد النقم تحقيق محمد علي النجار، أبو زيد شلبي ومحمد أبوالعيون، ط٢ القاهرة ١٩٩٣م.

- السخاوي: شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن محمد السخاوي، ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م.

١٦) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ط١ بيروت ١٩٩٢م.

١٧) وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق بشار عواد معروف، عصام فارس وأحمد الخطيمي، ط١ مؤسسة الرسالة ١٩٩٥م.

١٨) التبر المسبوك في ذيل السلوك، ط١ القاهرة د.ت، جـ١ من سنة ٨٤٥-٨٥٠هـ/ ١٤٤١-١٤٤٦م، تحقيق نجوى مصطفى كامل ولبيبة إبراهيم مصطفى، ط دار الكتب بالقاهرة ٢٠٠٢م.

- السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م.

١٩) تاريخ الخلفاء، ط دار الجيل بيروت ١٩٨٨م.

٢٠) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم/ ط القاهرة١٩٩٨م.

- ابن شاهين الظاهري: زين الدين عبدالباسط بن خليل الحنفي، ت ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م.

٢١) نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، ط١ بيروت ٢٠٠٢م.

- الشعراني: عبدالوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري، ت ٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م.

٢٢) لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق، المعروف (بالمنن الكبرى)، ط مصر ١٩٠٣م.

- الصيرفي: على بن داود الجوهري، ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م.

٢٣) إنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق حسن حبشي، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢م.

٢٤) نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، جـ١ ط مركز تحقيق التراث بدار الكتب القاهرة ١٩٧٠م، جـ٢ ١٩٧١م، ج٣ ١٩٧٤م، جـ٤ ١٩٩٤م.

- ابن ظهيرة: برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن علي بن عطية بن ظهيرة، ت ٨٩١هـ/ ١٤٨٧م.

٢٥) الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقي وكامل المهندس، ط دار الكتب القاهرة ١٩٦٩م.

- ابن العماد الحنبلي: شهاب الدين أبي الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد الدمشقي، ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م.

٢٦) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مجلد ٨، ٩، تحقيق محمود الأرناؤط، ط١ دار ابن كثير دمشق – بيروت ١٩٩٢م.

- العيني: بدر الدين محمود العيني، ت ٨٥٥هـ/ ١٤١٥م.

٢٧) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، حوادث وتراجم سنة ٨٢٤-٨٥٠هـ تحقيق عبدالرازق الطنطاوي القرموط، ط١ القاهرة ١٩٨٩م.

٢٨) السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، شيخ المحمودي، تحقيق فهيم محمد علوي شلتوت، ط٢ دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٩٨م.

- ابن الفرات: ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم الفرات، ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م.

٢٩) تاريخ ابن الفرات، مجلد ٩ جـ١ حوادث سنة (٧٨٩-٧٩٢هـ) عني بنشره قسطنطين زريق، ط بيروت ١٩٣٦، مجلد ٩ جـ٢ حوادث سنة (٧٩٣-٧٩٩هـ) حققه قسطنين رزيق، ونجلاء عز الدين، ط بيروت

١٩٣٨م.

- القلقشندي: أبوالعباس أحمد بن علي ، ت ٨٢١هـ،/ ١٤١٨م.

٣٠) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، جـ١ المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٦٣م.

- المقريزي: تقى الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبدالقادر، ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م.

٣١) إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق كرم حلمي فرحات أحمد، ط١ القاهرة ٢٠٠٧م.

٣٢) السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٧م.

٣٣) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية د.ت.

- ابن مماتي: الأسعد بن المهذب بن أبي مليح، ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م.

٣٤) "كتاب قوانين الدواوين"، تحقيق عزيز سوريال عطية، ط القاهرة ١٩٤٣م.

- ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور الأفريقي، ت ٧١١هـ/ ١٣١١م.

٣٥) "لسان العرب"، ط دار صادر، بيروت د.ت.

- ناصر خسرو: أبو معين الدين القبادياني المروزي، ٤٨١هـ/ ١٠٨٧م.

٣٦) "سفرنامة" رحلة ناصر خسرو علوي، ترجمة يحيي الخشاب، ط الهيئة العامة للكتاب – القاهرة ١٩٩٣م.

• ياقوت: شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي: ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م.

٣٧) "معجم البلدان"، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي، ط١ بيروت ١٩٩٠م.

ثانياً: المراجع العربية والمعرَّبة:

١- إبراهيم على طرخان: مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة (١٣٨٢-١٥١٧م) ط القاهرة ١٩٦٠م.

٢- أحمد صادق الجمَال: الأدب العامي في مصر، ط القاهرة ١٩٦٦م.

٣- أحمد مختار العبادي: قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، ط دار النهضة العربية ١٩٨٦م.

٤- أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ط أولى عالم الكتب ٢٠٠٨م.

٥- الأمين محمد عوضي الله: أسواق القاهرة منذ العصر الفاطمي حتى نهاية عصر المماليك، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٤م.

٦- رأفت محمد النبراوي: أسعار السلع الغذائية والجوامك في مصر عصر دولة المماليك الجراكسة، ط أولى الرياض – السعودية ١٩٩٠م.

٧- رينهارت دوزي: تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، ط وزارة الثقافة والإعلام العراق ١٩٨١م.

٨- سعيد عبدالفتاح عاشور – العصر المماليكي في مصر والشام، ط٢ القاهرة ١٩٧٦م.

٩- التدهور الاقتصادي في دولة سلاطين المماليك (٨٧٢-٩٢٣هـ/ ١٤٦٨-١٥١٧م) في ضوء كتابات المؤرخ ابن إياس ضمن بحوث

ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ط بيروت ١٩٧٧م.

١٠- المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ط القاهرة ١٩٩٢م

١١- عادل عوضي: الزلازل مأساة هزت العالم – خطر الزلازل على البيئة، ط أولى بيروت ١٩٩٢م.

١٢- عبدالمنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ط٢ القاهرة ١٩٧٩م.

١٣- عثمان على محمد عطا: الأزمات الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي وأثرها السياسي والاقتصادي والاجتماعي (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، ط القاهرة ٢٠٠٢م.

١٤- عمار محمد النهار: تاريخ المماليك، ط جامعة دمشق ٢٠١٤م.

١٥- فالتر هنتسي: المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، ط ا الأردن د.ت.

١٦- قاسم عبده قاسم: – النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ط أولى، دار المعارف– القاهرة ١٩٧٨م.

١٧- أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك، ط القاهرة ١٩٧٨.

١٨- مجدي عبد الرشيد بحر: القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م.

١٩- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط٤، القاهرة ٢٠٠٤م.

٢٠- محاسن محمد الوقاد: الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م.

٢١- محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء

المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م.

٢٢- محمد فتحي الشاعر – الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ط دار المعارف القاهرة ١٩٩٣م.

٢٣- الشرقية في عصر سلاطين الأيوبيين والمماليك، ط القاهرة ١٩٩٧م.

٢٤- محمد قنديل البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣م.

٢٥- مفيد الزيدي: موسوعة التاريخ الإسلامي "العصر المملوكي"، ط الأردن ٢٠٠٣م

٢٦- ياسين الأيوبي: آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، ط أولى لبنان ١٩٩٥م.

ثالثاً: الدوريات:

١- أحمد السيد دراج: الحسبة وأثرها على الحياة الاقتصادية في مصر المملوكية، المجلة المصرية التاريخية، العدد ١٤ -١٩٦٨م.

٢- إلهام حسن دحروج: ملاحن بعض الحرفين في الأسواق في مصر المملوكية، ندوة تاريخ الوطن العربي عبر العصور (التاريخ الاقتصادي) منشورات المؤرخين العرب حصاد ١٤ القاهرة ٢٠٠٦م.

٣- سامية على مصيلحي: الزلازل وآثارها في مصر الإسلامية منذ عصر الولاة حتى نهاية العصر المملوكي (٤١-٩٢٣هـ/ ٦٦١ – ١٥١٧م) بحث ألقي في المؤتمر الدولي، الدراسات الإنسانية والقضايا المعاصرة، جامعة الأزهر بالقاهرة، أبريل ٢٠٠٣م.

٤- عيسى محمود عسود العزام: أسعار الحبوب والمواد الغذائية في مصر خلال عصر المماليك البرجية، مجلة دراسات تاريخية، العدد ١٧ العراق ٢٠١٤م.

٥- فتحي سالم حميدي: وباء الطاعون واثره على مدينة القاهرة في العصر المملوكي، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، مجلد ١٢، عدد ٤ لسنة ٢٠١٣م.

٦- مبارك محمد الطراونة: الأوبئة والطواعين وأثارها الاجتماعية في بلاد الشام في عصر المماليك الجراكسة (٧٨٤-٩٢٢هـ/ ١٣٨٢-١٥١٦م)، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، مجلد ٤، عدد ٣ لسنة ٢٠١٠م.

٧- محمد عبدالنعيم محمد عبده: أزمة اللحوم وأثرها على المجتمع المصري في عصر دولة المماليك الجراكسة، حوليات مركز البحوث، والدراسات التاريخية، كلية الآداب – جامعة القاهرة – أكتوبر ٢٠١١م.

٨- منى سعد محمد الشاعر: شبكة الري المصرية في عصر دولة المماليك البحرية، بحث نشر بالمؤتمر الدولي حول "التاريخ الاقتصادي للمسلمين، جـ٢ القاهرة ١٩٩٨م.

٩- يوسف درويش غوانمة: الطاعون والجفاف وأثرهما على البيئة في جنوب الشام (الأردن وفلسطين) في العصر المملوكي، مجلة علوم فصلية عدد ١٣-١٤، دمشق ١٩٨٣م.